



# مراجعة كتب

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

شعبان ١٤٤١ هـ - أبريل 2020

## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

يوم ٢١ مارس الماضي، نشرت جريدة الجارديان البريطانية قصيدة حول فايروس كورونا (كوفيد-١٩) للشاعر البريطاني المعاصر سايمُن أرميتج (Simon Armitage) عنوانها (Lockdown) أو (الحجر المنزلي).

القصيدة تدعو إلى استغلال العزلة التي فرضها هذا الوباء في جميع دول العالم؛ استغلالها في «التفكير، والتأمل».

وظف الشاعر أرميتج في قصيدته وباء الطاعون الدبلي الذي أصاب قرية إيام (Eyam) سنة ١٦٦٥ م، التي وصلها الوباء عبر قطعة قماش رطبة من لندن استلمها أحد خياطي القرية، وتكب أهلها مدة ١٤ شهرا. والجدير بالذكر أن أهل القرية نجحوا في التخلص من الوباء باستخدام الحجر الصحي، فعزلوا قريتهم، ووضعوا صحرة تفصلها عن القرى الأخرى، وكانت الصحرة بها ستة نقوب، فكانوا إذا أرادوا التجارة والتزود بالمؤن يضعون العملات المعدنية في النقوب ويصبون عليها نبيذ الخيل؛ لتقيهم! ثم يأتي تجار المواد الغذائية لأخذ حقوقهم من هذه الصحرة دون أن يضطروا إلى دخول القرية الموبوءة. وقد وظف أرميتج في قصيدته أيضا قصة رومانسية مؤلمة لعاشقين أحدهما من قرية إيام والآخر من قرية مجاورة، وبسبب الطاعون كانا يلتقيان عن بعد خارج القرية ويكتفيان بلغة العيون، ولكن حين انتهى الوباء ذهب العاشق إلى القرية فوجد محبوبته قد هلك. ولكي يعزز أرميتج روح التفاؤل والأمل؛ استعان في نصه أيضا بأسطورة هندية نظمتها الشاعر الملحمي كاليباسا في القرن الخامس الميلادي، في ملحمة «مكهاوتا»، أو «رسول السحاب»، وتحكي قصة «ياكشا» أحد العاملين في بلاط ملك الهند، الذي نفاذ إلى مكان بعيد في وسط البلاد، فأقنع ياكشا سحابة - حسب الأسطورة- كي تنقل رسالة لزوجته في جبال الهمالايا، وتحقق له ذلك من خلال وصف العديد من المعالم الجميلة التي سترها السحابة في مسارها الشمالي إلى مدينة «الأكا»، حيث تنتظر زوجته عودته.

أعتقد أن أرميتج نجح بهذا النص الجميل نجاحا باهرا في التصدي لوباء فايروس كورونا؛ حيث استطاع استدعاء التاريخ والأسطورة ليقول لنا: البقاء للصمود، والحب، والأمل.

(الحجر المنزلي)

لم أستطع الهروب من أحلام اليقظة

رأيت البراغيث الموبوءة

الكامنة في اللحمة والسداة للملابس الرطبة

لخياط

قرية «إيام» القديمة.

ثم رأيت

صحرة الجحود، المائلة

كقطعة نرد بقوالب الستة

والقرويون يعمرونها بنبيذ الخيل

تتطير عملا تهم البانسة من الطاعون.

لقد ذكرتني بالقصة الحزينة

لدمت سدل، و«رولاند توري»

العاشقين المحوسين، وهما -

مفصولان بالمحجر الصخري-

يتجاجبان بغزل صامت جرّفه النهر

ولم يغد أيدا!

ثم نمت ثانية

ورأيت هذه المرة

«ياكشا» المنفي، وهو يرسل

عبر غيمة عابرة

رسالة شوق إلى زوجته الغائبة

غيمة تتبع خارطة الأرض وتبصر

مسالك هوائ الجمال والمواشي،

وأنها تشبه القلائد،

وطواويس ذات أذيال مزوحية،

وأقلام ذات أشكال وألوان،

ومعارض مطرزة بالبروج والأشجار المتنفة،

وغابات الخيزران، وقمم مغممة بالثلج،

وشلالات وجداول،

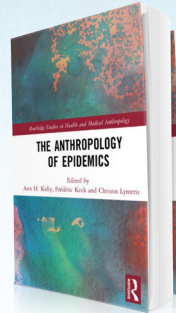
وطلاسم الفرائيق المجنحة،

وزهرة اللوتس المتلألئة بعد الغيث.

الهواء العليل المتوم نادر،

والرحلة مؤلمة أحيانا، طويلة وثقيلة،

ولكنها لا تهرب منها.



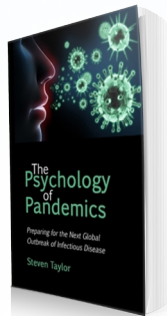
• أنثروبولوجيا الأوبئة  
• مجموعة مؤلفين



• الصيدلية المقدسة  
• أنا ماريا فولّي



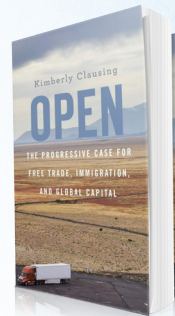
• قوة اللا عنف  
• جوديث باتلر



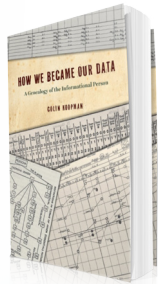
• سيكولوجية الأوبئة  
• ستيفن تايلور



• مواجهة الانهيار...  
• لوك سيمال



• الانفتاح...  
• كيميبرلي كلاوسينغ



• كيف أصبحنا...  
• كولين كوبمان



• كل شيء يتغير...  
• مجموعة مؤلفين

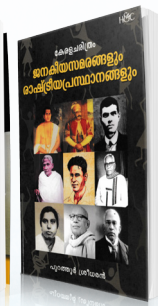


• كيف تصنع الأمراض التاريخ  
• أن أجيت كومار وبراديب كاناكود



• كيف تصنع الأمراض التاريخ  
• رونالد د. غيرسته

## إصدارات عالمية جديدة





## جائحة! كوفيد- 19 يهز العالم سلافوج زيزيك

مُحمَّد الشيخ \*

في الفاتح من نوفمبر من عام ١٧٥٥ هز زلزال عنيف مدينة لشبونة، ونشب عنه حريق دام عشرة أيام؛ أعقبته موجة عاتية ساقطت معها البشر والبيوت، ولما فرَّ الناس إلى النهر هاربين من النيران، أغرقتهم موجات مهولة. هز هذا الزلزال فلاسفة أوروبا، وفتح نقاشا حول الشقاء والعناية. وكان من بينهم فولتير وروسو الذين تجادلا حول دلالة هذا الحدث المهيّب. واليوم، تجوب كارثة فيروس كورونا العالم، ولم تمر أيام على استفعال الأمر بأوروبا حتى ظهر كتابان فلسفيان في الحدث: واحد بالإسبانية «حساء يوهان» جمع فيه صاحبه آراء خمسة عشر مفكراً في هذه الجائحة، وثان بالإنجليزية «جائحة!». تناول فيه صاحبه الموضوع نفسه؛ هذا فضلا عن عشرات المقالات والحوارات التي أجريت مع فلاسفة في الموضوع. والمشارك بين الكتابين اسم الفيلسوف السلوفيني سلافوج زيزيك ...

- ٣ -

### نحو عاصفة قاصمة في أوروبا

تحدث العاصفة الداهية عندما تتفق ظروف متنوعة. والأمر أدهى حين نتواجد على المركب نفسه، وليكن أوروبا، ولتكن العواصف الثلاث المتفقة: التأثيرات الصحية للجائحة (الحجر، المعاناة، الموت)، والاقتصادية (اقتصاد يعاني من ركود منذ زمان)، والاجتماعية (أزمة المهاجرين السوريين على الأبواب). وهذا الأثر هو الذي يسميه المؤلف «فيروس بوتين أردوغان» اللذين يساومان بدماء الملايين من السوريين ويدمران بلدا لخدمة أهدافهما، بما في ذلك تدمير أوروبا الموحدة. يمكن لهذه التوليفة أن تؤدي إلى عاصفة قاصمة للظهور: موجة جديدة من اللاجئين بإيعاز من تركيا يمكن أن تمسي لها عواقب وخيمة في وقت الجائحة. وإلى حد الآن أحد الأنباء السارة القليلة من عالم الجائحة، فضلا عن أنها جعلتنا نعي بمشترك الحاجة إلى تعاون شامل، أنها لم تُعزَّ، كما جرت بذلك العادة، إلى المهاجرين واللاجئين. إذ دائما ما كان يدرك «الأخر الشرقي» على أنه أصل كل بلاء. لكن إذا ما صير إلى النظر إلى اللاجئين بحسبانهم ناشري الفيروس، فسوف يشكل ذلك مشجبا للعنصريين الشعبويين الذين سيعملون إقصاء الأجانب بدواعي طبية «علمية»؛ مما يدعو إلى اتحاد أكبر للأوروبيين بغاية سد الذرائع.

- ٤ -

### مرحبا بكم في فيا في الفيروس

أدى انتشار الجائحة إلى انتشار واسع للفيروسات الأيديولوجية التي كانت وسنانة في مجتمعاتنا: الأخبار الزائفة، نظريات المؤامرة العظامية، سَوَّرات العنصرية. لكن يأمل المؤلف في وجود فيروس آخر . حميد . يصيبنا وينتشر بيننا: فيروس التفكير في مجتمع بديل، يتجاوز حدود الدولة القومية، ويحقق نفسه في أشكال التضامن والتعاون الشاملين. ولئن تأدت كارثة تشيرنوبيل إلى سقوط شيوعية الاتحاد السوفياتي، وجائحة كورونا إلى سقوط شيوعية الصين، فقد يؤدي الأمر إلى «إعادة ابتداء الشيوعية وابتعاثها»، شيوعية تكون هذه المرة مبنية على الثقة في الشعب وفي العلم. لقد شكل الفيروس ضربة استباقية إلى النظام الرأسمالي الشامل في أمانة منذرة بأن ما اتبعناه لحد الآن لا يمكن الاستمرار عليه، وأتينا في حاجة إلى تغيير جذري. وما هو ما كان تم تصويره في أفلام الخيال العلمي من أخطار

- ١ -

### كلنا في نفس المركب الآن

عنوان استوحاه المؤلف من قول مأثور لمارتن لوتر كينج: «يمكن أن نكون قد أتينا من قوارب مختلفة، لكننا الآن في نفس المركب». ثمة قصة الطبيب الصيني الأول «لي». الذي لم يعذر حين أُنذر. خالفت الحكومة شعار ماو: «ثق في الشعب أولا»، فلم تثق به. كان عليها أن تحب الشعب وتحميه وترعاه وتراقبه، ولا تثق به؛ بحيث تعمد إلى إخفاء كل «متنطع» حتى ولو كان على نحلته الماركسية ... ما أربع الدولة هو الترابطات الموجودة بين وسائل الاتصال الحديثة، بما فيها مواقع ماوية، عدتها الدولة منافسة للخطاب الإيديولوجي الرسمي الواحد. قال «لي» وهو على فراش مرض موته: «يلزم أن يكون ثمة أكثر من صوت واحد في المجتمع الصحي». لا علاقة لهذا بالديمقراطية التعددية الغربية، وإنما هو مطلب بترك ردود الفعل المواطنة الناقدة تتبدى؛ وإلا فالثمن المؤدى عن فرض الرقابة بتعلة مراقبة الإشاعات التي تنشر الهلع. أن تصير هذه الرقابة نفسها هي من ينشر عدم الثقة، وتؤدي بالتالي إلى المزيد من نشر نظريات المؤامرة. والمشكلة: كيف نميز بين حرية التعبير «الجيدة» والإشاعات «الفاصلة»؟ والجواب: تعزيز الثقة بين الشعب وأجهزة الدولة، وهو ما هو مفقود في الصين.

- ٢ -

### لماذا نحن متعبون طيلة الوقت؟

أوقفنا الجائحة أمام وجهين متعارضين برزا على ساحة حياتنا اليومية: ١. أولئك الذين بلغ بهم التعب أشده، من فريق التطبيب والنقل. ٢. وأولئك الذين لا شيء يفعلوه، ما دام قد فرض عليهم الحجر، قسرا أو طوعا. لماذا صرنا منهكين إلى هذا الحد؟ وذلك بصرف النظر عن مفارقة أن المرء يجد الإنهاك لا في الشغل وإنما في منعه من الشغل. السبب أننا أمسينا نقصف قصفا، والحال حال اعتزال، بمهاتفات من العمل، تدعونا إلى مزيد عمل في بيوتنا ... لكن، ثمة تعب وتعب: فارق بين تعب الطبيب والممرض والسائق، وقد أضناهم العمل اليومي الشاق، وتعب من يشتغل في بيته، لسوق المال وللتترقي في وظيفته ... تعب الأوائل قيم، وتعب الثانوي عبث.

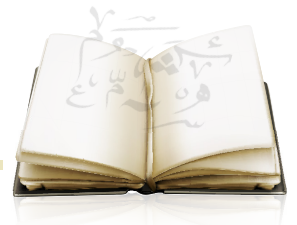
ما يميز هذا الكتاب أمور ثلاثة: أولا؛ الكتاب تأمل في «مفارقات» الوضع البشري في زمن كورونا. وقد جعل صاحبه من الفلسفة بحثا في «المفارقات» التي نعيشها في زمن الضنك هذا. وفيه إلماع إلى وجه السلب ووجه «الإيجاب» في هذا الحدث. وثانيا؛ الكتاب «تأملات» تمتزج «بتحليلات» امتزاجا لطيفا يستدعيها فيها الفيلسوف بين الفينة والأخرى إلى الإصغاء إلى حميميته: طفولته، أحلامه، كوابيسه ... وثالثا؛ الكتاب مزيج عجيب من الأسماء، من كبار الفلاسفة والأدباء (كانط وهيغل وأجامبن وباديو ...) إلى وجوه وسائل الاتصال والسياسة (أسانج، جونسون، ترامب ...)

### فاتحة الكتاب

«لا تلمسيني»

ذلك قول المسيح لمريم المجدلية (إنجيل يوحنا: ١٧/٢٠) بعد أن تعرفت عليه بعد قيامته. وبناء عليه، يتساءل الفيلسوف: كيف أفهم أنا الملحد المسيحي الملحن هذه الكلمات؟ أولا؛ بربط هذه الكلمات بجواب المسيح على تلامذته: كيف لنا أن نعلم أن قيامتك قامت؟ وجواب المسيح: فشو المحبة بينكم أمانة. لا تلمسيني، عامل الآخرين في إطار روح المحبة.

واليوم، في وسط الجائحة، ما نلبث نقصف بنداءات: يا هذا، لا تلمس الآخرين، واعزل نفسك عزلا حتى تحفظ مسافة عن سواك. وما صلة هذا بأمر «لا تلمسيني»؟ بات لا يمكن للبين أن تلمسا الغير، وإنما يتم ذلك من جوانية الإنسان: بالعينين. اليوم، عندما نلتقي بأسوى، أكان قريبا أم بعيدا، نكتفي بإلقاء نظرة عميقة إلى عينيه حتى تجليان أكثر مما تفعله لمسة حميمية. لا يمكن للفيروس أن يحرماننا من ذلك. والعزاء أن نظرات العينين تعزز روابطنا، بل في تفادي لقاء الغير تجربة حكيمة في الفقد والشوق. لا يعني هذا أننا نداري الحدث الجلل بهذا، فالجائحة ألجأتنا إلى القطع مع الوضع الماضي، وألزمنا إما بالتفكير في بناء حياتنا على أنقاض تلك الماضية، أو الخضوع إلى بربرية جديدة باتت بعض علائقها تلوح في الأفق. لقد أمسى علينا أن نطرح السؤال: ما الخاطئ في نظامنا الذي لم يهيئنا إلى الكارثة على الرغم من إنذار العلماء بها منذ سنين؟



حجر تام، والناس معتزلون في بيوتهم يواجهون عدم يقينية المستقبل، ومن المحتمل جدا حتى إن بقينا أن نواجه أزمة اقتصادية كبرى. ها قد حدث المستحيل، فما الذي يمكن أن نفعله حتى نواجهه؟ لا يظن المؤلف أن الخطر الأكبر يتمثل في عودتنا إلى «بربرية مفتوحة»: عنف فظ من أجل البقاء، اضطراب في النظام العمومي، هلع أكل للبشر؛ لكنه أخوف ما يكون من «بربرية بوجه إنساني»: إجراءات بقاء قاسية تأتي على المسن والضعيف. كلا؛ ما كانت «الحياة العارية» هي هدفنا الأول. كل يسعى إلى منجاة وحده. وإنما حفظ المسافة مع الغير عربون على إظهار الاحترام له: قد أكون أنا أيضا حاملا للفيروس وأعديك! وأماننا معركة ضد التضليل الأيديولوجي، ينبغي أن ترافقها معركة بيئية، وأخرى لإعادة النظر في نظامنا الاجتماعي والسياسي وفي مجتمعنا الاستهلاكي وفي تعاملنا مع الكائنات الطبيعية ...

- ١٠ -

### الشيوعية أو البربرية بكل بساطة!

ألا كم سخر الكثير من زيزيك، من اليمين إلى اليسار ومن الشرق إلى الغرب (هان، باديو)، وهو يكرر القول بمجيء عهد من الشيوعية نتيجة الجائحة! وألا كم عارضوه بالزعم أن الرأسمالية عائدة وبشكل أقوى، مرفوقة هذه المرة بالرقابة على حياتنا على الطريقة الصينية بعازرة الضرورة الصحية! وألا كم قيل بأن هلع البقاء أمر لا صلة له بالسياسة وإنما يجعلنا ندرك الأغباء بوصفهم تهديد موت لا رفاق معركة! لكن المؤلف يرى أن وضعنا اليوم وضع عزلة توحيدية لكنها سياسية: نواجه خيارات سياسية جذرية تُدبر لنا، وعلينا أن نتبنى رأي كائن: «أطع، لكن فكر، صن حرية الفكر!» ما كانت الشيوعية أضغاث أحلام، وإنما تسمية لما هو واقع: عودة دور الدولة في تنظيم الحاجات الرئيسية: الأقفعة وأجهزة التنفس... وبالتالي التخلي عن ميكانزمات السوق. فضلا عن أنها ينبغي أن تلحق بذلك العناية بالضعيف والمسن، وأن تتعاون مع الدول الأخرى في تنظيم الموارد وإنتاجها وتقسيمها. فإن بقيت الدول معزولة، فذاك منذر بالحرب. هي ذي الشيوعية عنده، ولا بديل عنها سوى «البربرية الجديدة» (ص. ١٠٤)؛ هذا إن نحن أردنا «إنسانية جديدة» و«موحدة».

أخيرا، هل من معنى لهذه الجائحة؟ ثمة المعنى المباشر، وثمة المعنى غير المباشر (معنى المعنى). من عجائب صاحب هذا الكتاب، أنه يدعونا إلى أن نقف عند المعنى المباشر فقط: كورونا فيروس وحسب، ليس هو، مثلا، «عقابا» عادلا من الله للبشر بسبب الاستعلاء في الأرض، وإلا رددنا خطاب «ما قبل العهد الحديث» الذي يعامل الكون كشريك في التواصل، ويعتبر الإنسان مخاطبا؛ هذا الذي ما كان سوى نوع بين أنواع بلا قيمة على بقية الأنواع (ص. ١٤). لكن، سرعان ما ينسى المؤلف ما قرره ويؤكد على أنه لربما الطبيعة سائرة إلى مخاطبتنا بمثل اللغة التي خاطبنا بها: ما فعلتم بي. من تدمير. أفعله بكم (ص. ٨١). وذلك هو التناقض الخفي!

### الكتاب: جائحة!

المؤلف: سلافوج زيزيك

دار النشر: O/R Books

مكان النشر: نيويورك/لندن

سنة النشر: 2020

\* أكاديمي مغربي



التي على باله؟ تحرك الناس محليا تحركا قويا وفعليا على مستوى التعاون العالمي، وتصرف الدولة كما لو كانت في حالة حرب كي توفر حاجات المرضى، وتتعاون مع بقية الدول، وتتداول المعلومات ولا ترابط الأخبار، وذلك مع القطع مع منطق «كل دولة تعمل لحسابها الخاص». فما أبان الوباء على حد السوق وحده، وإنما أبان على حد الشيوعية القومية أيضا. وما كان الرجل طوباويا ليدعو إلى تضامن مثالي بين الشعوب، وإنما أظهرت الأزمة كيف أن التعاون والتضامن الدوليين في صالح بقاء الكل: هي ذي الأناثية العاقلة. فأمام دعوة البعض إلى الاصطفاء الطبيعي، لا جواب عنده سوى: إما البربرية وإما شيوعية مبتكرة (ص. ٧٠).

- ٨ -

### إدارة وعقاب؟

#### أجل من فضلك!

سجل العديد من المعلقين الليبراليين واليساريين كيف أن الوباء استغل لتسيو إجراءات الرقابة المشروعة على الناس، وهي إجراءات ما كان يُفكر فيها من قبل في المجتمعات الديمقراطية. وكان رد فعل الفيلسوف الإيطالي الشهير جيورجيو أجامبن فريدا. أدان ما سماه الطابع المحموم وغير العقلاني وغير المضمون للإجراءات المستعجلة التي تم تبنيها بعد وباء عاد، وتساءل: لماذا تجهد وسائل الإعلام والسلطات نفسها للحد من تحركات الناس وإلغاء الحياة اليومية؟ وقد عد هذه الإجراءات ردة فعل غير متكافئة مع الحدث، ونزوع من الدولة إلى استعمال تعلقة «حالة الاستثناء بحسبانها أنموذج الحكم». ورد زيزيك أن رد فعل أجامبن مجرد شكل من أشكال موقف يساري شائع يرى في رد فعل الدولة هلعا مبالغا فيه اتخذ ذريعة لممارسة الرقابة. والحال أن رد الفعل هذا هو الذي ينبغي أن يوصف بالتهويل في اتهام الدولة، وبالعنى عن درك حقيقة الداء. حياتنا بعد الفيروس هي غير حياتنا قبله: تلك تجربة فلسفية. وذلك هو معنى «الفلسفة»: اسم لتوجهنا الأساسي في الحياة، إذا فهمنا هذا الأمر وغيرنا سلوكنا نكون أنها قد أحدثنا ثورة فلسفية حقيقية.

- ٩ -

### هل البربرية بوجه إنساني قدرنا؟

درس كورونا: توقف العالم الذي عهدناه، عدد من الدول تعيش على

تتهدد البشرية جمعاء صار حقيقة مجسدة. فهل كنا نحتاج إلى هذه الكارثة كي نتأمل وضعنا؟ وألا نتدبر في هذا الأمر: الذي دعانا إلى التضامن هو نفسه الذي باعد بيننا: كورونا؟ وهل كان الأمر يحتاج كل هذه السنين إلى أن ننتبه إلى الفيروسات الحقيقية بعد أن لم نعهد إلا فيروسات الكمبيوتر؟ ألا تدعو هذه الظواهر إلى تخليص البشرية من ربكة أسواق المال؟ علما أنه لا يقصد بالشيوعية هنا أسلوبها البائد، وإنما التنظيم الشامل الذي يمكن أن ينظم الاقتصاد ويراقبه، كما يحد من سيادة الدولة القومية حين يحتاج الأمر إلى ذلك. وإذا كانت الأمم اقتدرت على فعل هذا زمن الحروب، فإننا اليوم نقرب من حال حرب طيبة. كيف يمكن أن نجمع بين «حرية» الليبراليين ووعي الشيوعيين بأزمة الرأسمالية العالمية ودعوتهم إلى تغيير جذري؟ ذلك هو المطلوب.

- ٥ -

### مراحل الوباء الخمس

أمام حقيقة المرض والفقد والانفصال وغيرها من الظواهر المؤلمة في حياة الإنسان، قد يمر المصاب بأطوار خمسة: ١- الإنكار (لا يمكن أن يحدث لي هذا)، ٢- الغضب (لماذا أنا؟)، ٣- المساومة (دعني فقط أعيش لأرى أبنائي يكبرون)، ٤- الإحباط (لا محالة أنا ميت، فلماذا الانزعاج من أي شيء)، ٥- القبول: (لا يمكن أن أقاوم، علي أن أستعد). وهو الأمر الذي ينطبق على الوباء الذي أصابنا. في البدء كان الإنكار (لا شيء جدي في ما يحدث، بعض الأفراد غير المسؤولين ينشرون الهلع)؛ ثم الغضب (وقد اتخذ شكلا عنصريا: الصينيون مذنبون، ودولتنا لا تقوم بشيء)؛ ثم المساومة (صحيح ثمة بعض الضحايا، لكن أقل من ضحايا سارس)؛ فإن لم ينفذ فثمة الإحباط (صحيح هناك بعض الضحايا، فلا نغاطل أنفسنا)؛ والآن ها نحن سائرون إلى القبول ...

- ٦ -

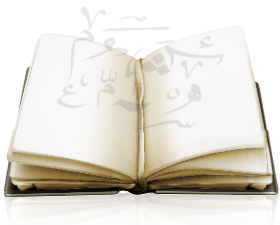
### فيروس الأيديولوجيا

العزل وحده، وبناء أسوار، وفرض مزيد من الحجر لن يؤدي المهمة. المطلوب: بناء تضامن كامل وتنسيق شامل؛ هي ذي «الشيوعية» المطلوبة. فإن لم نفعّل، سوف تصير ووهان نموذج مدينة المستقبل: البقاء في البيت، العمل على الحواسيب، التواصل عبر الفيديو، الحصول على الغذاء بالطلب؛ بحيث لا نرى بشرا من لحم ودم ... في مدن بلا مستهلكين جوالين، بجمال مالنخوني لشوارع فارغة. لكن حينما المهلكة فقد تلوح بوادر المنجاة: حياة سكينية في زمن الوباء من شأنها أن تعيد لعاش تجربة حياتنا. بعض الناس قد يستغلون وضعهم للتحرر من نشاط محموم، كما لتدبر حياتهم باعتمادها حياة فورة مجنونة. وقضية المؤلف التي يدافع عنها: حتى الأحداث الضليعة قد تكون لها أثر إيجابية لا يمكن التنبؤ بها (ص. ٥٨).

- ٧ -

### اهدأ واهلع!

تلك مفارقة الإعلام الذي ما يفتأ يردد: «يا هذا، لا تهلع»، ثم يصب عليك وإبلا من المعلومات التي تدفعك إلى الهلع! يذكرنا هذا بالأنظمة الشيوعية: حين يعلن المسؤولون أن لا هلع، فلا أنهم هلعون! وبالمثل، حين يعلن المسؤولون اليوم كفاية ورق النظافة، تصاب الأسواق بالهلع؛ الذي نخشاه من خصائص هو ما نتسبب فيه بهلعنا الشرائي! ما السلوك المناسب للجائحة؟ سوف تعطي كورونا دفعة جديدة للشيوعية. أمر يبعث لا محالة على الضحك، على الرغم من أن ردة فعل بلد شيوعي رسميا. الصين. أفضل من ردة فعل بلد رأسمالي. إيطاليا! لكن المؤلف لا يظهر التعاطف مع شيوعية الصين، بسبب كذبها على الناس وإخافتها للحقيقة. ما الشيوعية



## الصيدلية المقدّسة أنا ماريا فولبي

عزالدين عناية \*

شهد العالم خلال العقود الأخيرة، على إثر تفاقم مشاكل البيئة، نشاطاً مكثفاً للداعين لاتباع التقاليد الغذائية الصحيّة والعلاج الطبيعيّ، في ما يشبه ردّة فعل على ما شاب السلوك البشري من إفراط وانتهاك لصوابط التعامل السليم مع المحيط. فقد بات التحذير من تنكّر الإنسان للمسلك السليم في العيش مدعاة للعديد من المبادرات، الباحثة عن تطوير أعراف جديدة في السلوك العام، تستند إلى ما هو طبيعي وتناهى عما هو مصطنع ومتكلف. ومجال العناية بالصحة هو من أكثر المجالات التي باتت تبحث عن هوية فاعلة في المجتمع، تستند إلى ما هو طبيعي وغير مصنّع. فالاهتمام بالمنتجات الطبيعيّ، الرائج تحت مسمى البيولوجي، غير الملوّث والصحيّ، هو جيّد للتناول ومفيد للتداوي أمام زحف ما بات يُعرّف بأمراض العصر.

للتدفئة، ويتولّى إنارة الدير ليلاً، ويسهر على خدمة رفاقه. كما يتكفل «الإنفيماريوس» بغرس النباتات الطبيّة في «المنبت الصحيّ» (hortus sanitatis) المجاور للدير. تذكر أنا ماريا فولبي أنّ إحدى البرديات التي تعود إلى القرون الوسطى، تصف مختلف النباتات التي تعمّر «المنبت الصحيّ»، ومن بينها نجد الكمون والزنبق والمريمية والإكليل، وهي من العادات التي تحوّلت إلى قصور الأثرياء والنبلاء لاحقاً. إذ تملّي قاعدة القديس بندكت أن يحوي كل دير حيزاً أخضر يضمّ الأشجار المثمرة، ومنبتين أحدهما مخصّص للخضراوات ممّا يتناوله الرهبان والآخر للنباتات الطبيّة المخصّصة للعلاج. وجراء ما اكتسبه الرهبان من شهرة في فنّ الطبابة بالأعشاب الطبيّة، كانوا يخرجون من أديرتهم لمداداة المرضى، غير أنّ المراسيم البابويّة، مثل مرسومي ١٢٢٧م و١٢٦٨م، ومقررات المجامع الكنسيّة مثل مجمع رانس (١١٣١م) ألزمت الرهبان بعدم مغادرة الدير. في ظل الحديث عن الصيدلة في أوساط الرهبنة، ينبغي ألا يفوتنا أنّ القوانين الكنسيّة تمنع اشتغال الإكليروس بمهنة الطبابة، بوجه عام، ولكن السماح بالاشتغال بالصيدلة يأتي للضرورة والحاجة.

خلال العصور الوسطى المبكرة، كان مقرّ الرهبنة البندكتيّة يضمّ محلاً للعقاقير والتوابل والبهارات في جنباته، ترتاده العامّة لاقتناء ما تحتاجه للتداوي والتوقّي من الأمراض والعاهات، ثمّ تبعت ذلك التقليد تنظيمات رهبنة أخرى، مثل الدومينيكان والفرنسيسكان والكابوتشين والكرمليين واليسوعيين. ونظراً للثقة العالية التي حازها الرهبان في الإلمام بخبايا علاج الأمراض وطرق المداداة، أوكل إليهم أمر تسيير المشايخ الواقعة خارج مقرات المؤسسات الدينيّة. ولا ننسى أنّ اهتمامات الدارسين من رجال الدين بالمصادر التاريخيّة والتقاليد القديمة في مجال العلاج والطبابة، قد قادت إلى إنشاء مدرسة ساليرو الطبيّة الشهيرة، التي حصلت على دعم سخيّ من الطبيب والراهب ألفانو مونتيكاسينو (١٠٢٠/١٠١٥-١٠٨٥).

زراعة الأعشاب لغرض المداداة، فعلاوة على ما يميّز صوامع الرهبان والنساك من عزلة وانزواء، بوصفها أماكن للخلوّة والتأمّل في العديد من التقاليد الدينيّة، وليس المسيحيّة وحدها، أمّلت الحاجة أن تقوم بداخلها ما يشبه النقاط الصحيّة للعلاج والمساعدة العاجلة، أكان للمقيمين فيها أو الوافدين عليها، من الضيوف والعابرين. وليس من الصدفة أنّ عبارة مَشْفَى في اللغات الأوروبية هي مستوحاة من كلمة "hospes" اللاتينية التي تعني «الضيف». فكان من الضروري أن يتكفل شخص أو أشخاص داخل الأديرة، بتحضير مواد العلاج الطبيّة للوعكات والأقسام بمختلف أصنافها. وبحسب التقليد السائد في أحضان الأديرة، عادة ما يتوارث القائمون بتلك المهمة معرفة متأتية من نساك سابقين، وفي الآن يسعى القائمون إلى تطوير تلك المعارف بالأطلاع على الخبرات السابقة عبر المدونات والنصوص المتوفرة. إضافة إلى ما يُعده سكان الدير أنفسهم من ترجمات لما يحتاجونه. ولعلّ أكثر الأعمال شهرة ضمن هذا التقليد أعمال أبقراط وجالينوس، فضلاً عن مؤلفات ديسقوريدوس فيدانيوس وأودو ماغدينانسيس وهيراقليطس وسيلسوس. إذ يعود استعمال العلاج الطبيعيّ إلى ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، فقد ثبت استعمال المصريين القدماء والأشوريين والقرطاجيين الأعشاب الطبيّة. وفي فترة لاحقة اهتمّ الرومان أيضاً بزراعة حقول لمختلف أنواع النباتات المخصّصة لأغراض طبيّة.

في مسعى للإحاطة بعوامل ارتباط علم الصيدلة بتقاليد الرهبنة ضمن التراث المسيحيّ الغربيّ، تعود الباحثة أنا ماريا فولبي إلى الأصول التي قامت عليها الرهبنة. فمن القواعد التي أسسها مؤسس الرهبنة القديس بندكت النيرسي أن يكون في كلّ دير راهبٌ «إنفيماريوس»، أي راهب قائم على التمريض، «مضعم بمحبة الله، يقظٌ ومسارع لمد يد العون» ينشغل برعاية إخوانه المرضى. فهو من يوزع المشروبات والمنشطات والأدوية، وغيرها من أنواع العلاج المتاح في ذلك العهد، وهو من يهتمّ بإيقاد النيران

ضمن هذا السياق العامّ صدر كتاب أخضر، في مداده وفي فحواه، ينتصر إلى إعادة ردّ الاعتبار إلى أساليب المداداة الطبيّة، بوصفها الطريقة الأمثلّ لعلاج العاهات، ممّا تسندها من خبرات تمتدّ على مئات السنين. فالكتاب كما هو وصّف للعديد من سبلّ العلاج للمنفصّات التي تعكّر صحّة الإنسان بأعشاب ونباتات ومستحضرات طبيّة، هو أيضاً دليل ثريّ يطفح بالعديد من الوصفات لتحقيق حسن المزاج، والحفاظ على النظارة، وزيادة طول العمر، وفق تقاليد أديرة الرهبان والراهبات. ناهيك ممّا يتناوله الكتاب من شرح مدقّق في إعداد المساحيق والمشروبات الشفائيّة وأنواع البلمس ومقادير مكوناتها، وكذلك تقنيات تجميع الأعشاب ومواقيتها ومواسمها حتى تحافظ على خصائصها.

توزّع الباحثة أنا ماريا فولبي كتابها إلى قسمين رئيسيين: أحدهما يتعلّق بتطور فنّ المداداة في الأوساط الدينيّة إلى حين بلوغه مراتب العلم المعروف بعلم الصيدلة؛ وآخر يتعلّق بالوصفات العلاجيّة والوقائيّة، اعتماداً على مرويات أصحابها وممارسيها، فضلاً عمّا تثرى به الكتاب من معارف متوارثة على مدى قرون في أوساط النساك. نذكر أنّ المؤلّفة هي باحثة ورخالة إيطالية معاصرة، مولعة بتقاليد الحياة الجبليّة وعاداتها، تابعت ولا زالت حياة الرهبان والراهبات من حيث تقاليدهم في الغذاء والتداوي، وقد أصدرت في الشأن جملة من الأبحاث القيّمة. كتاب «الصيدلية المقدّسة» الذب نعرضه للقارئ، يضمّ بين دفتيه خبرات ومعارف متأتية من قرون بعيدة، في ما يتعلّق بخصائص النباتات والتداوي الطبيعيّ، كما تمّ توارثها داخل الأديرة المسيحيّة بالخصوص، منذ القرون الوسطى وإلى يوم الناس هذا. حيث تعرض صاحبته العديد من الأخلاط والوصفات والمكوّنات، المتداولة على نطاق ضيق، أو غير المعروفة في أوساط العامّة، بيد أنّها بقيت حاضرة في أوساط المتديّنين بالخصوص من الرهبان الفرنسيسكان، ممّن يعيشون بدورهم نوعاً من العزلة في مجتمعاتهم الغربيّة.

تستهلّ الباحثة كتابها بحديث مفصّل عن تقاليد النساك في



محال مخصصة للعناية الطبية والعلاج الطبيعي. ففي بادوفا على سبيل المثال، وخلال العام ١٧٦٩، كانت المدينة تضم عشرين ديراً للراهبات، ضمت في جنباتها محال لصنع مستخلصات العلاج. وكانت بعض الراهبات على دراية جيدة بطرق التحضير بأنواع النباتات والأعشاب، وهو ما يدعمه ثراء الأديرة بالمؤلفات والمخطوطات المتعلقة بموضوعات الأمراض والمستحضرات والأدوية. وقد سجل التاريخ العديد من أنواع المراهم والمستخلصات والمساحيق المستعملة في علاج العاهات من ابتكار الراهبات.

للتطور الأمور إلى تقديم دروس في علم الصيدلة داخل الأديرة، فقد كانت مجموعة من الرهبان الدومينيكان تقارب الستين، في مونبلييه، تلقي دروساً في التداوي بالأعشاب لرهبان آخرين يفتدون من أديرة أخرى. وفي فلأمبروزا، جنب «السبسييرية» المعروفة التي يعود تاريخها إلى العام ١٦٨٩، أنشئت مدرسة نباتية ارتادها مشاهير مؤلفون بالحفاظ على الطبيعة، من بينهم الراهب فرجيليو فالوجي (١٦٢٦-١٧٠٧) مؤلف كتاب «علم النبات» ذائع الصيت.

ما تخلص إليه آنا ماريا فولتي عبر تطوفاها بألوف التجارب، والتدقيق في مئات الوصفات، أنه لا يمكن بلوغ الصحة، وفق المنظور النباتي، مرة وإلى الأبد، بل من اللازم الترقّي لذلك المقام كل يوم، عبر ممارسات متتابعة تتضافر فيها الوحدة والانسجام بين العقل والجسد والروح. إذ يتسنى بلوغ الهناء من خلال مراعاة قواعد بسيطة تتمثل في الغذاء السليم، والعيش المنضبط (المواعيد المتناسقة للنوم واليقظة)، والتناسق الأخلاقي، والالتجاء إلى القدرات الرعائية الكامنة في الطبيعة، بمعنى استعمال الأعشاب الطبية. وإلى جانب ما تورده من توصيفات لأثار النباتات الطبية وخاصياتها عند الاستعمال، تبين الباحثة اختلاف تأثيرها بين المرأة والرجل، وبحسب الحالات والأوضاع الملمة بالفرد من صحة ومرض، مبرزة أن كل تعكر للروح أو الجسد يمكن تخطيه بنوع معين من الأعشاب، يكون فعلها مؤثراً بفضل العناية واللفظ الإلهيين.

• الكتاب: الصيدلية المقدسة.

• تأليف: آنا ماريا فولتي.

• الناشر: تيزا سانتا (ميلانو-إيطاليا) «بالغة الإيطالية».

• سنة النشر: 2020.

• عدد الصفحات: 263 ص.

\* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



تواصل تقليد إعداد المستخلصات في دير القديس سالفاتور في القدس إلى حدود العشرينيات من القرن الفائت، حيث استمر مد «السبسييرية» (spezieria) - والمفردة تعني محلا لبيع التوابل والعقاقير- رهبان الدير، فضلا عن الميائتم والمدارس التابعة، ما يلزم من أدوية. وقد بلغت شهرة العاملين في صيدلية الدير أن استعان بهم أعيان العرب والباشوات الأتراك إبان فترات الأوبئة التي أصابت الشام في القرون الأخيرة. وقد كان الصيدلاني الراهب أنطونيو منزاني أحد مشاهير تلك الصيدلية، بفعل تصنيعه المرمم المعروف بـ«بلسم القدس»، وهو مضاد للتقرحات والنزيف الخارجي والحروق، خضع استعماله لمقادير مضبوطة وأيام معدودة. وقد جرى تطوير ذلك البلسم إلى سائل، وبات يُستعمل في القروح التي تصيب المعدة وتقلص آلام الأسنان والسعال. وبفعل الشهرة التي أحاطت بـ«بلسم القدس» غدا مطلوباً في المدن المسيحية الأوروبية.

وتعتبر «سبسييرية» سانتا ماريا نوفيللا بمدينة فلورانس الصيدلية الأقدم في كافة أرجاء أوروبا. فخلال العام ١٣٨١م كان الرهبان الدومينيكان يبيعون «ماء الزهر» كدواء مطهر مضاد للأوبئة بما يماثل الكحول اليوم. وكانوا يتولون بأنفسهم زراعة النباتات الطبية في المنبت المجاور للدير، ثم يقومون باستخراج مستخلصات الأعشاب والأزهار ويُعدون منها العقاقير والمراهم والدهون وأنواع البلسم ويمونون بها الصيدلية القريبة. ومن تلك المصنوعات الطبيعية ما يُصدر إلى أسواق بعيدة نحو الصين والهند. هذا وقد توسع تقليد الصيدلية مع إنشاء أول صيدلية تابعة للرهبان الكابوتشينيين على أطراف كنيسة القديس أنطونيو، في كالياري في سردينيا، خلال العام ١٧٠٥. ولم تكن «السبسييرية» حكراً على أديرة الذكور، بل أنشأت الراهبات أيضا داخل مقراتهن الخاصة

وبالفعل تطور مفهوم الصيدلة في التقليد المسيحي الغربي، وتحديدا في إيطاليا، داخل حيز الأديرة، حيث تثبت الوثائق العائدة إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ترافق هذا التقليد مع نشأة محال لبيع العقاقير والتوابل المشار إليها آنفا. ومع تطور تلك الصناعة بدأ يُوكل لشخص من خارج الدير شأن إعداد تلك الوصفات التي يحددها طبيب يصحبه كاهن، مع اشتراط أن تُوفر تلك الأدوية لقاطني الدير بالمجان. وبخلاف ما ساد في إيطاليا، كان رجال الدين في فرنسا، إبان القرن السادس عشر الميلادي، واستناداً إلى قرار تشريعي، غير مسموح لهم بتعاطي مهنة بيع العقاقير ما لم يكونوا مسجلين في هيئة ترعى تلك المهنة. واستمر ذلك إلى قبيل تاريخ اندلاع الثورة (١٧٨٩)، التي وضعت حداً لكافة الصيدليات التي تشرف عليها الأديرة، وعرضتها في المزاد العلني للراغبين في امتحان تلك المهنة، فأصبحت تلك المهنة بنكسة. تبرز آنا ماريا فولتي أن عديد المنابت الموجه إنتاجها إلى أغراض طبية وعلاجية قد بقيت تابعة للأديرة الدينية، منذ تأسيسها في القرن السادس عشر وإلى غاية العام ١٩٥٦، مثل المنبت التابع للرهبان الكابوتشينيين في مدينة البندقية الذي أنشئ خلال العام ١٥٧٦م.

فقد شاعت تلك العادات المتعلقة بالمنابت الصحية ومحال الأعشاب التابعة للأديرة في مختلف أماكن انتشار التنظيمات الدينية التابعة لكنيسة روما، في أوروبا وخارجها. فداخل أسوار مدينة دوبروفنيك العتيقة في كرواتيا، يمكن زيارة الصيدلية القديمة التابعة لدير الفرنسيكان، والتي يعود تاريخ تأسيسها إلى العام ١٣١٧م، وهي صيدلية خاصة في البداية بالرهبان ثم غدت مفتوحة لعامة الناس. وقد كانت تضم مجموعة هامة من المؤلفات في علمي الطبابة والصيدلة، إلى جانب سجلات بألاف الوصفات، ومجموعة كبيرة من الأدوات التي تعود إلى القرن الخامس عشر. ولا زالت هذه الصيدلية ناشطة وتوفر مستخلصات وفق الوصفات التقليدية القديمة.

من جانب آخر رافقت جماعات الرهبان الوافدين مع جحافل الحملات الصليبية نحو الأراضي المقدسة في المشرق وبلاد الشام انشغالات بعلوم الصيدلة. إذ نجد العديد من رجالات «الرهينة المسلحة»، ممن استقروا بفلسطين إبان الحروب الصليبية، يتقنون فن تحضير النباتات والأعشاب المستعملة لغرض مداواة. ومن بين الأديرة التي عُرفت بالاشتغال بالصيدلة حينها صيدلية دير القديس سالفاتور بالقدس، بفضل ما كانت تجده من دعم من ممالك الفرنجة المساندة للحملات الصليبية، بوصف تلك القلاع نقاطاً متقدمة لاختراق صفوف «المحمديين» في المشرق. وقد كانت صيدلية دير القديس سالفاتور بمدينة القدس من أفضل الصيدليات بالمنطقة نظراً للدعم الفائق من جمهورية البندقية وجمهورية جنوة ودوقية ساوودو في ذلك العهد، لما تقدمه من خدمة للحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا.



## أنثروبولوجيا الأوبئة

# أن.ه.كيلى وفريدريك كيك وخريستوس لاينتريس

فينان نبيل \*

شكّل تفشي الأمراض المعدية، والأوبئة في العقود الماضية تحديات صحية عالمية كبرى للإنسانية. تطغى الآن التهديدات الوبائية والجائحة على واقعنا السياسي، والعقلي والاجتماعي؛ فالأمراض الناشئة والتي تظهر من أن لآخر منذ الطاعون الدبلي الأوروبي، مروراً بفيروس «نقص المناعة البشرية (الإيدز)»، ثم المتلازمة التنفسية الحادة «سارس»، و«إيبولا»، إلى فيروس (كوفيد-19) المستجد تُوّج مشاعر القلق، والخوف بشأن الأوبئة المستقبلية والتي تزداد سوءاً وخطورة. تقترب الأنثروبولوجيا من الأوبئة كظواهر اجتماعية كلية، تشمل العمليات والأحداث التي تؤثر على الحياة الاجتماعية. يضع هذا الكتاب الأوبئة في مقدمة النقاش الأنثروبولوجي، من أجل دراستها وتحليلها من الناحية العلمية والاجتماعية.

للمرض وإنما تطرح تساؤلاً حول الآليات التي يمكننا من خلالها أن نعيش معاً، وطريقة تأثيره في العلاقات الاجتماعية، التي يتم تشكيلها من خلال المعلومات، والاتصال، والمفاهيم الفيروسية المستحدثة.

بدأت في منتصف التسعينات دراسة فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) ضمن مجموعة واسعة من الأمراض المعدية مثل «الكوليرا والطاعون، والأنفلونزا، وفيروس الإيبولا»، لتقديم نموذج عام في الأنثروبولوجيا الطبية، والتحديات المنهجية، والمعرفية التي يواجهها هذا التخصص. يرى الكاتب أن التوسع الأمبريالي استغل تفشي الأوبئة لخلق سياقات ومبررات لسياسات الفصل وإعادة التوطين والحجر الصحي، ومراقبة السكان، كما كانت الأوبئة محفزاً للاكتشاف والابتكار العلمي، والتطور في علم الجراثيم والتطبيقات، وكان السكان الأصليون محورياً لهذا المجال الجديد من البحث العلمي، وتم تصنيف التقاليد المحلية، وطرق المعيشة، على أنها موارد علمية للطب الاستوائي. والالتزام المنهجي بالعمل الميداني طويل المدى فعندما ضرب الطاعون الدبلي الهند، وهي مستعمرة بريطانية، في أواخر القرن التاسع عشر، اتخذ المستعمر البريطاني تدابير مضادة للأوبئة - شديدة القوة والسلطة، ولكن من قبل حكومة استعمارية، على السكان الأصليين». اعتبر سكان الهند ذلك أكثر خوفاً من الطاعون نفسه، وقاوموا في ظل قلق بريطاني من أن «تكون هذه بداية القومية الهندية الحديثة». تراجعت عن الإجراءات التي كانت غير فعالة على أي حال، وقد ذهب البعض إلى تورط الأنثروبولوجيا في السيطرة الاستعمارية على السكان الأصليين.

توصل «ليفي بروول» في كتاب «نهاية العقلية البدائية» إلى أن التطعيم الجماعي يفشل إذا لم تتغير المفاهيم المحلية للأوبئة، وهو درس استخلصه «ليف اوناكو» من زيارته للفلبين كخبير في الحكومة الاستعمارية الأمريكية للأوبئة، فقد عزز الاهتمام الإثنوغرافي بسبل العلاج وطوقسه متخذاً خطأ استدلالياً تجريبياً مقارناً بين الطب النباتي والطب الغربي، إلى جانب التفسيرات الثقافية لتفشي المرض وطرق انتقالها، وتوفير متطلبات الحد من انتشارها، مثل توعية الفرق الصحية، بمعتقدات المرض عند السكان الأصليين، والممارسات التي قد تسبب معوقات، وتعزيز الثقة في الأطباء. ويربط بين الممارسات الثقافية باعتبارها عاملاً في نقل المرض، كالاهتمام بالنظافة. يرتبط الأمن الصحي

لقد كان للزي، في الواقع، بعض القيمة الوقائية، لأن الشمع ضد البراغيث التي حملت المرض. كان الطاعون أكثر ضراوة من الهجوم العسكري، وكانت الاستجابة غالباً تشبه الحرب، فكانت إحدى الاستجابات هي «التطويق الصحي» للمدن، وعدم السماح لأي شخص بالدخول أو الخروج، وأوامر بإطلاق النار عند العبور، «تم نشر الجيش النمساوي في القرن الثامن عشر» لمنع الطاعون الدبلي من التحرك إلى أعلى شبه جزيرة البلقان إلى أوروبا الغربية عن طريق إيقاف المسافرين الذين ربما يحملون المرض. تصنع الأوبئة نظاماً بيروقراطياً كما تصنع الحروب الدولية، فكلاهما يتطلب الإدارة والتمويل، فكل ذلك يحتاج الحجر الصحي إلى «قوة الشرطة واحتكار القوة على مساحة واسعة، وقد تدعو الحاجة إلى تمركز الحراس خارج منازل الأشخاص الذين أصيبوا بالطاعون، ولا يُسمح لأحد بالدخول أو الخروج.

يمكن للأمراض المعدية أن تغير المشهد المادي، فعندما أعاد نابليون بناء باريس في منتصف القرن التاسع عشر، كان أحد أهدافه هو الحماية ضد الكوليرا، فصممت شوارع عريضة، حيث يمكن نفاذ الشمس والضوء. أصبحت فيروسات الجهاز التنفسي سمة أكثر ثباتاً للحياة في الغرب، فيمكن أيضاً تنفيذ التغييرات في وسائل النقل العام وتقسيم المناطق استناداً إلى ذلك. كانت هناك ثقة حقيقية في أن جميع الأمراض المعدية ستكون شيئاً من الماضي بعد الحرب العالمية الثانية، وستبقى الأمراض المزمنة والوراثية، وأن انتشار العدوى، والأوبئة، لن تبقى بسبب تطور العلم، إلا أن التطور لحق بمسببات الأمراض التي يمكن أن تنشر الأوبئة العالمية كما لحق بالعلم. حتى في بيئات الاستشفاء الغنية بمضادات الميكروبات في أوروبا والولايات المتحدة، تعد الأوبئة هي الجانب المظلم للتطور والتقدم الطبي والسياسي، في حين يحتل تسرب الفيروسات من الحيوانات البرية لسكان القرى النائية مكان الصدارة في التكهانات بنهاية العالم. إنها تمثل استحالة تأمين الكيان السياسي في عالم يزداد ترابطه من الناحية التكنولوجية أكثر من أي وقت مضى. لم يطلق مفهوم «الوباء» أو «الجائحة» على الأمراض التي تنتشر في أنحاء العالم إلا منذ أواخر القرن التاسع عشر. أصبح التصدي والاستعداد لظهور الأوبئة الجديدة أمراً لا مفر منه، وأصبح مادة خصبة يمكن التنبؤ من خلالها بمستقبل البشرية.

لا تعتبر دراسة الأوبئة من المنظور الأنثروبولوجي مجرد دراسة

حتى نضع جائحة الفيروس التاجي- كورونا (كوفيد-19) في إطاره يجب أن نعود إلى العصور الوسطى عندما ضرب الطاعون الدبلي لندن عام ١٦٦٥. ظهر المرض فجأة، وأصبح على أرض الواقع «أشخاص مصابون، ومعاناة في الأماكن العامة، توقفت المتاجر، واختفى كل نشاط اقتصادي، وأقيمت المستشفيات لعزل المرضى، وحرق الكبريت في الشوارع واستخدمت النيران لتنقية الهواء» توي ما يقرب من ربع سكان لندن، وانتحر بعض المصابين بإلقاء أنفسهم في نهر التايمز جراء الرعب مما حدث لأجسادهم، وانهار النظام الاجتماعي مع فرار السلطات، وذهب سائقو «عربات الموت من بيت إلى بيت، وجمعوا الجثث مقابل رسوم، بينما نهب بعض الناجين الممتلكات.

كانت إيطاليا أكثر الدول تضرراً في القرن الرابع عشر من «الموت الأسود» وهي من الدول الأكثر تضرراً في القرن الحادي والعشرين من «فيروس كورونا المستجد» فقد كانت إيطاليا مركزاً للتجارة المتوسطية، ووصل الطاعون على متن السفن التجارية، فكان الناس يمرضون عندما يتنفسون أو يصابون بالمرض من خلال مسامهم.

على الرغم من براعة الغرب الطبية الحيوية الحديثة، فإن بعض أدواته الواضحة تشبه ما تم تجربته لأول مرة في القرن الرابع عشر مثل «الحجر الصحي»، حيث تم عزل مئات الملايين من الأمريكيين والأوروبيين في منازلهم في محاولة لإبطاء انتشار الفيروس التاجي. نشأت فكرة العزل كآلية للدفاع ضد الأمراض المعدية في دولتي البندقية، وفلورنسا حيث بدأت البحرية البندقية في إجبار البحارة على النزول على جزيرة قريبة، والبقاء لمدة أربعين يوماً «كوارنتا». تم اختيار المدة لأهميتها في الكتاب المقدس، فيشرع الناس في «أربعين يوماً من التوبة والعقاب الذاتي والصلاة». نجحت الاستراتيجية، وماتت البراغيث الموبوءة بالمرض وانتهى المرض، وتعافى الناس. كذلك فعل الأمريكيون العائدون من ووهانا، الصين، في أوائل فبراير ٢٠٢٠. تم حجرهم في قواعد الجيش لفترة الحجر الصحي» أربعة عشرة يوماً.

يمكننا أن نرى جذور العديد من جوانب الصحة الحديثة بالفعل في عصر النهضة، مثل زي الشمع الذي كان يرتديه الأطباء الذي يشبه الثوب الطبي الحديث، أو هذا النوع الذي يشبه بدلة الفضاء، ولكن مع منقار طويل يحتوي على الأعشاب الرنانة، والتي كان يعتقد أنها «تنقي الهواء الذي يتنفسونه».



وتقديم الرعاية الصحية الأولية، والتدخل الإنساني، والبحوث الوبائية؛ فالأمر لا يتوقف فقط على نتائج علمية ذات مصداقية ولكن أيضا على كيفية تحقيقها. أشار علماء الأنثروبولوجيا إلى الدور الحاسم الذي يؤديه الفقر في تضخيم الوباء، وأوجه الإجحاف الشديد في مجال الصحة التي تصاحب محاولة السيطرة على الوباء، كذلك التقاليد الثقافية المتعلقة بالدفن، وطرق العلاج البدائية أو السحر.

أثرت الفيروسات المسببة للأمراض في حياة البشر لقرون عدة على الرغم من صغر حجمها، وأنها لا ترى بالعين المجردة، على الاقتصاد والثقافة وحتى العادات اليومية، واستمرت هذه الآثار بعد انقضاء فترة طويلة من الأمراض المعدية. لقد غيرت الأوبئة في أعداد السكان فقد قتل الطاعون أو الموت الأسود ما يقبل عن ثلثي سكان أوروبا آنذاك؛ مما أدى لبطء التوسع الحضري وعودة السكان إلى الريف. كان للبحث عن علاجات للأوبئة تأثيرات اقتصادية على مر القرون؛ فبمجرد اكتشاف «الكينين» كعلاج للملاريا أصبح أكثر قيمة من الذهب، وفي أواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر عانت تونس من عدة أوبئة شديدة مثل الكوليرا، والتيفوئيد مما استنفد مواردها الاقتصادية بشدة لدرجة أنها لم تكن قادرة على سداد ديونها مما جعلها عرضة للاحتلال الفرنسي. كما يبدو أن أصول العديد من العادات الغذائية مرتبطة بالأمراض المعدية، حيث يعتبر استهلاك الحليب الخام غير قانوني في العديد من البلدان؛ لمنع انتشار مرض السل البقري.

يصعب التنبؤ الآن بالأثر السياسي والاقتصادي الذي سببته وباء «كورونا المستجد» أو «كوفيد ١٩» في أعقابها؛ لأن المجهول عنه أكثر مما هو معروف. ولكن مع مزيج من الحسد وقراءة التاريخ الوبائي، ومع قدرة العلم اليوم قد نستنتج بعض الأمور. فإذا كان انتشار الطاعون قد أدى إلى انتقال السلطة من القرى إلى العواصم الوطنية، قد يشجع الفيروس الناتج انتقال السلطة من الوحدات فوق الوطنية إلى الدولة القومية. يتجلى هذا بشكل أوضح في الاتحاد الأوروبي، حيث تحدد الدول الأعضاء استجابات خاصة، فقد تم إغلاق الحدود المفتوحة داخل الاتحاد الأوروبي، وفرضت بعض البلدان قيوداً على تصدير الإمدادات الطبية، وزاد الفيروس من التوترات بين الولايات المتحدة والصين، حيث تحاول بكين حماية صورتها ويقلق الأمريكيون من الوصول إلى الإمدادات الطبية. ويصيب الفيروس أشد الضرر في المدن التي «يسكنها عدد كبير من السكان، ويرتبط بالسفر الجوي السريع، وتحركات السياح واللاجئين.

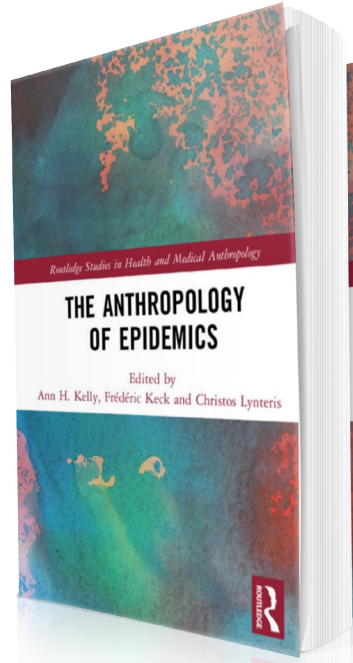
يهدد الفيروس التاجي «العولمة الاقتصادية والسياسية، ويتسبب في انحلالها إلى حد ما»، إلى حد يمكن اعتبار «الفيروس التاجي» هو مرض يهدد «العولمة».

## • الكتاب: أنثروبولوجيا الأوبئة

• المؤلف: آن. ه. كيللي - فريدريك كيك -  
• كريستوس لاينتريس

• الناشر: روتليدج - نيويورك - 2019

\* كاتبة وباحثة مصرية



الأوسط التنفسية. ازدادت الحاجة للتعاون بين الأطباء البيطريين وعلماء البيئة وعلماء الأحياء الدقيقة وعلم الأوبئة لتوفير المعرفة حول أسباب انتقال الأمراض من الحيوانات إلى البشر.

لعب التصوير الفوتوغرافي دورا هاما أثناء تفشي الأوبئة في إقرار الثوابت الوبائية في الاستجابة للأمراض المعدية، فاستخدم التصوير في رسم خرائط للمناطق الوبائية، من خلال صور حية لأسواق الحيوانات الطازجة في الصين باعتبارها منطقة تصوير وبائي؛ فإن الصور ومردودها البصري يلعبان دوراً رئيسياً في التواصل الوبائي ليس فقط من حيث التعليم والإقناع، ولكن الأهم من ذلك، كوسيلة لتحديد وضبط ما يعتبر معرفة وما يمكن يتم حذفه على أنه شائعة أو قصص أو حكايات من منظور أنثروبولوجي بصري. يشير هذا بوضوح إلى حقيقة أن صور الأوبئة والأمراض الحيوانية المنشأ ليست مجرد تمثيل للأمراض المعدية وتأثيرها الاجتماعي، بل هي بالأحرى أمور فاعلة في ساحة سياسية اقتصادية أوسع للمعرفة.

قد تثير الجائحة الحالية بوصفها خطراً وجودياً على البشرية تصورات خيالية عن نهاية العالم، مما يطلق العنان للخيال (روايات، وأفلام، وبرامج تليفزيونية، ورسوم متحركة وألعاب الفيديو)، لا ينبغي النظر لهذا الأمر كونه أوهاما مروعة، بل كتابات معيارية عن العلاقة بين البشر والعالم تولد رؤى راسخة للهيمنة على العلاقات الإنسانية/غير الإنسانية.

تستدعي الأوبئة ممارسات التبادل العلمي وتدفق المعارف، وتداول المعلومات ونظم الاتصال، التي تؤدي إلى استقرار الأزمة، كما يستدعي الاهتمام بالبنية التحتية الحضرية. طور علماء الأوبئة مصطلحات مثل «البقعة الساخنة» أو «الزخم الفيروسي» لتعكس الزمان والمكان الذي يمكن أن يؤدي إلى ظهور مرض وتوطنه في مجتمع بشري؛ مما يدل على أن انتقال العدوى ليس «لحظة واحدة» أو نقطة اتصال واحدة.

ينتبه الأنثروبولوجيون للجوانب الاجتماعية المصاحبة لمحاولات السيطرة على الأوبئة؛ فالتوسع الحضري والقدرات والاستثمارات تطرح تحدياً واضحاً فيما يتعلق بمصداقية مكافحة الأوبئة،

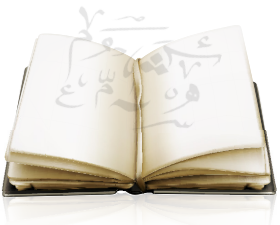
بالأمن العالمي؛ فاستراتيجيات احتواء المرض لا تعتمد فقط على برامج صحية، بل على تعزيز الملاءمة الثقافية والخبرات المحلية للأحداث الوبائية، التي تفسر الأهمية البالغة لاستقصاء الآثار الاجتماعية المختلفة لتفشي الأوبئة وأشكال الإقصاء الاجتماعي ضد المرض، وانتشار الذعر، وإلقاء اللوم على المرضى الذين يسود بينهم نتيجة الوباء.

حاول الاستقصاء الأنثروبولوجي فهم الأوبئة وما لحقها من وصمات، وعزل للمرضى، فوجد أن الأوبئة لديها القدرة على إعادة ترتيب العلاقات الاجتماعية، واستحداث أمور لا تتعلق فقط بالمعاناة الجسدية، ولكن أيضا بالأزمات الأخلاقية التي يمكن أن تقلب الوجود الاجتماعي. فعلى سبيل المثال، أدى تفشي فيروس نقص المناعة البشرية/متلازمة نقص المناعة المكتسب «الإيدز» إلى تغيير أبعاد الارتباط الأنثروبولوجي مع الأوبئة وإعطائها مكاناً أكبر. من ناحية أخرى، فإن فاعلية العلاج المضاد للفيروسات ساهم في إزالة خطر السلوك الاجتماعي تجاه المرضى؛ لأنه أصبح من الممكن السيطرة على توزيع الأدوية المنقذة للحياة، مهما كلف الأمر من معاناة على الاقتصاد السياسي العالمي من أجل إنقاذ الأرواح. جدير بالذكر أن مجلس الأمن أعلن في خطوة غير مسبوقة أن مرض نقص المناعة البشرية «الإيدز» يشكل تهديداً للأمن الدولي في أفريقيا. إن إدراج الأمراض المعدية في المخاطر الأمنية جعل المصابين شكلاً من أشكال التهديد الوطني، ووصل الأمر إلى عسكرة ممارسات الصحة العامة أحياناً.

ألقى علماء الأنثروبولوجيا الضوء على الأبعاد الجيوسياسية والأمنية للبيولوجيا، وكيف تشكل الأوبئة تهديداً وشيكاً دائماً، مما يؤكد سلطة الحكومات من أجل السيطرة على سبل المعيشة، كما ركزت على التوسع في استراتيجيات الاحتواء، وتضييق ممارسات الصحة العامة وإعطاء الأولوية للمخاطر المتوقعة التي تشكلها الأوبئة.

جمع الكاتب بين الأنثروبولوجيا ومجال الأوبئة، فقدم دراسة للأمراض ذات الأصل الحيواني وانتقال أنواع منها للإنسان وهي فكرة طبية حديثة، ولكنها اكتسبت كامل قوتها فيما يتعلق بمرض الطاعون في العقود الأولى من القرن العشرين، وهي تعتبر اليوم أكثر المسائل الوبائية إلحاحاً، بسبب التطور في علم الفيروسات، التي أصبحت قادرة على التحول والوصول إلى البشر مما يؤدي إلى وفاة أعداد كبيرة من السكان حول العالم. لم يعد الأمر لغزاً علمياً، بعد زيادة التغطية الإعلامية لتلك الأمراض ذات المنشأ الحيواني مثل «السارس» و«الإنفلونزا» و«الإيبولا» وتصوير الحيوانات على أنها مصدر الفيروسات القاتلة التي تهدد البشرية بالانقراض، وتعرض السياسة الصحية العالمية وطرق مواجهة الاتجاه العام لاعتبار الحيوانات مصدر خطر، مع محاولة الفهم التاريخي والإثنوغرافي والعلمي، إضافة إلى التوضيح الاستقرائي لتطور الأمراض ذات الأصل الحيواني في القرن الحادي والعشرين.

لم تعد الحيوانات مجرد ناقلات سلبية بل أصبحت ينظر إليها كأطراف فاعلة في شبكات التعايش، مما يثير أسئلة في علم الأحياء التطوري عن تطور الميكروبات في النظم البيئية المعقدة، مع إيلاء الانتباه إلى تجاوز ما يبدو أنه حدود بيئية؛ فقديمًا انتقل السل من الأفيال للبشر كمرض حيوي عكسي بعد صعود السياحة البيئية، والآن انتقال فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق



## الانفتاح: الحالة التقدمية للتجارة الحرة والهجرة ورأس المال العالمي.. كيمبرلي كلاوسينغ

محمد السالمي \*

مع هبوب رياح الحرب التجارية التي لم نشهدها منذ عقود، حيث كلا التيارين اليسار واليمين يشيران إلى الحماية، تأتي كيمبرلي كلاوسينغ في كتابها «الانفتاح: الحالة التقدمية للتجارة الحرة والهجرة ورأس المال العالمي» لتناقش وتؤكد على أن الاقتصاد الحر والانفتاح الاقتصادي هي أفضل طريقة لتعزيز مصالح الأمريكيين العاملين، وكذلك مساعدة الفئات الأكثر ضعفاً.

تشير الكاتبة إلى أن الانفتاح الاقتصادي يسهم بشكل كبير في التجارة الدولية، ويرفع من مستويات المعيشة، وتفيد المستهلكين وتسهم في حركة رأس المال العالمية لكل من المقترضين والمقرضين. كما تعمل على تحسين الكفاءة وتعزيز الابتكار، وغيرها. وعلى الرغم من كل الانتقادات التي تجدها في كثير من الأحيان، فقد أخرجت العولمة بلا شك مئات الملايين من الفقر على مدى العقود الأربعة الماضية. كما كانت التجارة والاستثمار الدوليين محورين في نهوض الصين والعديد من الاقتصادات الناشئة. في غضون ذلك، سمحت الهجرة لعشرات الملايين الآخرين بالهروب من القمع أو الفقر المدقع. ولا تزال الهجرة واحدة من أعظم نقاط القوة في أمريكا، حيث يلعب الوافدون الجدد دوراً أساسياً في النمو الاقتصادي والابتكار وريادة الأعمال.

عملية إنتاجهم. كانت الهجرة قوة كبيرة للاقتصاد الأمريكي في الماضي، وهي قوة كبيرة على الإطلاق في الوقت الحاضر. حيث يحفز المهاجرون على الابتكار وريادة الأعمال وخلق فرص العمل، وهم يوفرون مهارات لا يمكن العثور عليها بسهولة في السكان الأصليين. يخفف المهاجرون أيضاً من ضغوط الميزانية التي يعاني منها السكان المتضخمون في سن التقاعد. ثالثاً، من المرجح أن يضر كبح الاندماج العالمي بالعمال الأمريكيين. التعريفات الجمركية والضرائب التي تقع على عاتق الفقراء هي أكثر مما تقع على الأغنياء. كما تخلق الحواجز التجارية وأيضاً الحروب التجارية «صدمات» جديدة في سوق العمل تتسبب في فقدان الوظائف وتراكم المصاعب؛ حيث يخاطر كل من المزارعين وعمال السيارات بفقدان الوظائف. كما أن الحروب التجارية تنفر من الحلفاء، وتبعد عن الشركاء المهمين الذين نحتاجهم لمعالجة قضايا مثل تغير المناخ والمنافسة الضريبية. وأخيراً، ستكون أمريكا وعمالها أقوى مع المزيد من الهجرة وليس أقل.

توضح كيمبرلي أنه بدلاً من الإقناع بالاندفاعات الشعبية من خلال إلقاء اللوم على الأجانب على أمراض المجتمع وإطلاق النار على أنفسنا في هذه العملية، يجب على صناع السياسة معالجة الأسباب الجذرية لركود الأجور وعدم المساواة الاقتصادية. ومع ذلك، فهي تترك أفكاراً سياسية جريئة حقاً دون

وتشكك المجموعتان في الاتفاقات التجارية التي يرون أنها تضع مصالح الشركات قبل مصالح العمال، وتميل إلى إلقاء اللوم على المنافسة الأجنبية. في أمريكا اليوم، بينما ترى هذه الموضوعات على اليسار واليمين، لا تزال هناك اختلافات. اليمين أكثر تشككاً في الهجرة من اليسار، ومن المرجح أن ينظر إلى العمال الأجانب على أنهم تهديد. اليسار أكثر تشككاً في الشركات الدولية من اليمين. هم أكثر عرضة للقلق بشأن الكثير من السلطة في أيدي الشركات متعددة الجنسيات.

ترى كيمبرلي أن هناك ثلاث حجج حاسمة يتعين على كلا الجانبين التفكير فيها بعناية. أولاً، في حين أن مخاوف العمال الأمريكيين حقيقية للغاية، فإن الأسواق العالمية ليست القوة الوحيدة المسؤولة عن الوضع الحالي. هناك العديد من العوامل الأخرى الأكثر أهمية، بما في ذلك التغيير التكنولوجي الدرامي، وزيادة تركيز السوق «احتكار القلة»، والتغيرات في المعايير الاجتماعية، والتغيرات في السياسة. ثانياً، تأتي الأسواق العالمية بفوائد للعمال الذين لا يتم الاعتراف بهم بشكل كافٍ. نعتد جميعاً بشكل كبير على التجارة كمستهلكين، ولكن أبعد من ذلك، تعد التجارة أيضاً جزءاً لا يتجزأ من حياتنا العملية بطرق إيجابية؛ لدى بعض العمال وظائف تنتج الصادرات، ويعتمد العديد من العمال الآخرين على الواردات كأجزاء رئيسية من

في الوقت نفسه، ألقى اللوم على العولمة في تراجع بعض الصناعات قبل الأوان، وزيادة عدم المساواة، وركود الأجور، والأزمات المالية، وعلى الأقل جزئياً، ظهور السياسة الشعبوية على طريفي الطيف السياسي. وعلى الرغم من ذلك تواجه المؤلفة هذه الانتقادات، وتؤكد على أن وضع العوائق أمام التجارة من شأنه أن يتسبب في أضرار لا حصر لها. بدلاً من ذلك، تحدد المؤلفة جدول أعمال لإدارة العولمة بشكل أكثر فعالية، وتقديم استراتيجيات لتجهيز العمال للاقتصاد الحديث، وتحسين السياسة الضريبية، وإقامة شراكة أفضل بين القوى العاملة والشركات. كيمبرلي هي أستاذة الاقتصاد في كلية ريد، حيث حصلت على الدكتوراه من جامعة هارفرد، وقد عملت سابقاً كباحثة اقتصادية في كل من صندوق النقد الدولي، ومشروع هاميلتون، ومعهد بروكينغز. تعد كيمبرلي واحدة من أبرز الخبراء الدوليين في فرض الضرائب على شركات متعددة الجنسيات، وهو موضوع أدلت بشهادته أمام الكونغرس.

نحن نعيش في زمن الاستقطاب السياسي، لكن الكثير من اليسار واليمين متفقون في عداوتهم للعولمة. غالباً ما يكون أولئك الذين يعادون العولمة قلقين بشأن المخاوف المشروعة: صعوبة دعم الأسرة في سوق اليوم، والطبيعة التنافسية الشديدة لأسواق العمل، والشعور بأن الأجيال القادمة قد تتخلف عن الركب من قبل قوى لا يمكنهم السيطرة عليها.

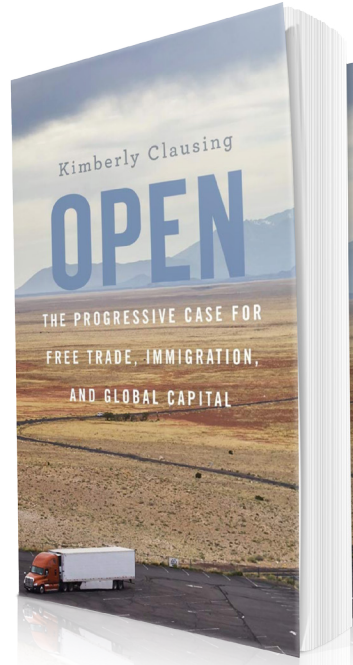




المشاكل التي يعاني منها الاقتصاد الأمريكي. طرحت الكاتبة العديد من الرؤى العامة والحلول بشأن التعاون الدولي للقضاء مثل المملدات الضريبية، والتصدي لتغير المناخ، وإنفاذ معايير العمل المتسقة دولياً. وزيادة التمويل لبرامج التعليم والتعديل الهيكلي كي يواكب العمال من الصدمات التجارية والتكنولوجية وغيرها من الحلول. ولكن هناك شيء مفقود، من ناحية، كما يشير الاقتصادي داني رودريك، وهو أن تعويض العمال الذين يخسرون من العوالة، أصبح أكثر صعوبة بموجب قواعد التجارة الحرة التي ترى في أي تنظيم محلي حاجزاً أو عائقاً للقوة على التنافسية التجارية. وعلى نطاق أوسع، يمكن أن يقوض حق الدول ذات السيادة في تصميم مؤسساتها وأنظمتها. في المقابل، لا أعتقد أنه بالإمكان اعتماد بعض الحلول المقترحة، وأرى أن احتمالية إدخال أي من التغييرات على السياسة بعيدة نسبياً. وما يميز الكتاب لفت المؤلف الانتباه إلى الفوائد التجارية التي نادراً ما تناقش، وكذلك إلى العديد من القوى الأخرى المسؤولة عما هو مناسب لإلقاء اللوم على العوالة. أحد أكبر فوائد الكتاب هو دعم حجج المؤلف بكنز من البيانات المفيدة مثل: فوائد التجارة، وتكلفة التعريفات، وقيمة التعليم، والآثار الاقتصادية لأنواع مختلفة من المهاجرين. حصل الكتاب على العديد من الإشادات سواء من القراء أو من داعمي الحزب الديمقراطي، أبرزهم فريد زكريا، مراسل سي إن إن، ولورانس سمرز وزير الخزانة الأمريكي السابق، وجيسون فورمان وغيرهم.

- الكتاب: الانفتاح: الحالة التقديمية للتجارة الحرة والهجرة ورأس المال العالمي
- المؤلف: كيمبيرلي كلاوسينغ
- الناشر: Harvard University Press
- سنة النشر: 2019
- اللغة: الإنجليزية
- عدد الصفحات: 360 صفحة

\* كاتب عُمانى



أكثر توافقاً مع احتياجات العمال، والاستجابة لعودة من الركود في الأجور وتصاعد التفاوت في الدخل.

وكخطوة واحدة، يمكننا أيضاً العمل على تعزيز اتفاقيات تجارية أفضل تتصدى للمنافسة في السياسات وتعالج المجالات التي تتطلب تعاوناً عالمياً. هناك العديد من الاستجابات الرئيسية وهي خطوات يمكن للولايات المتحدة أن تتخذها بمفردها. يمكننا القيام بعمل أفضل بكثير لدعم العمال والمجتمعات من خلال الاستثمار في العمال والبنية التحتية والتعليم. كما يمكن إصلاح النظام الضريبي للتأكد من أن نمو الدخل القومي يعود بالفائدة على جميع الأمريكيين تقريباً. وهذا يعني ضرائب أقل لمن هم في القاع، ويعني أيضاً مساهمات أعلى من أولئك الذين في القمة، ولكن الإصلاحات الدقيقة يمكن أن تقلل من الحيل والخداع التي تملأ النظام الضريبي الأمريكي الحالي، مما يخلق المزيد من الإيرادات الضريبية بمعدلات ضريبية معقولة. والأهم من ذلك، يمكننا متابعة شراكة أفضل مع الشركات، حيث يتم معالجة قوة السوق الغير مبررة وتشجيع الشفافية والمسؤولية الاجتماعية في قضايا مثل الضرائب والعمل. وسيستفيد مجتمع الأعمال بدوره من الأسواق المفتوحة واللوائح والضرائب العادلة والبسيطة.

هذا الكتاب جيد لمناقشة وتبسيط الضوء على بعض

فحص، مثل الدخل الأساسي العالمي. وتأسف على القدرة التفاوضية المنخفضة للعمال ونقاباتهم، لكنها لا تتحدث إلا عن كلام لتصحيح التوازن. أما في نطاق العوالة، فتشير الكاتبة أن تقليصها هو رد فعل أحرق تجاه مشاكل العمال الأمريكيين. والأهم من ذلك الإقدام على مثل هذه الخطوات، يعيق إيجاد وسائل أسهل وأكثر فعالية لمساعدة العمال. على سبيل المثال، لو نضع في الاعتبار قانون الضرائب الجديد الذي دخل حيز التنفيذ في عام ٢٠١٨، فسيخلق هذا القانون عجزاً إضافياً يزيد عن ١,٥ تريليون دولار (على مدى عشر سنوات) من أجل دفع التخفيضات الضريبية التي تفيد في الغالب أولئك الذين يتصدرون توزيع الدخل، كما يوجد في القانون ثغرات جديدة فظيعة مثل «خضم التمير» التي تجعل من النظام الضريبي الأمريكي أقل عدالة وأقل كفاءة حسب وصف الكاتبة.

قد يكون النهج الأفضل هو تقديم الدعم الحقيقي للعمال من خلال التغييرات في السياسة الضريبية. على سبيل المثال، سيكون توسيع الائتمان الضريبي المكتسب وتوفير التأمين على الأجور للعمال النازحين خطوات أولى جيدة في هذا الاتجاه. كما أن الاستثمار في العمال من خلال التمويل الكافي للبنية التحتية والبحث والتعليم أمر بالغ الأهمية. بالإضافة إلى توسيع شبكة الأمان لجعل التأمين الصحي أكثر أمناً خطوة مهمة. في المقابل، يجب أن تحرك مشروع قانون الضرائب في الاتجاه المعاكس بإلغاء التفويض الضريبي لشراء التأمين الصحي، وهذه إحدى الركائز المهمة لقانون الرعاية بأسعار معقولة. فيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية، يمكننا القيام بعمل أفضل بكثير. إن اعتماد السياسات التجارية الحمائية، ولوم المهاجرين غير المبرر، إجراءات خاطئة، بل إنها تصرفنا عن أولوياتنا تجاه السياسة الاقتصادية الملحة.

على الرغم من اعتراف المؤلف بوجود ضحايا للعوالة وما إذا كان ينبغي أن تكون هناك عوالة أم لا، تشير أنه يجب أن تبقى منفتحين على الاقتصاد العالمي ولكن هناك العديد من الخطوات السياسية المهمة التي يمكننا اتخاذها لجعل اقتصادنا العالمي



## مواجهة الانهيار في ظل الكوارث البيئية لوك سيمال

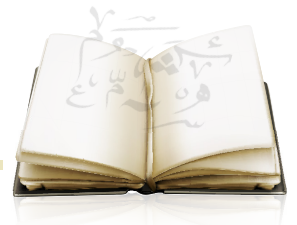
سعيد بوكرامي \*

هل يقف عالمنا، اليوم، على حافة الانهيار؟ سؤال ملح ومضغ، يطرح منذ عقود خلت وأنتج نظريات متعددة وحراكا علميا وبيئيا ومجتمعيا. الآن يكاد الجميع خصوصا مع جائحة كورونا وتدايعاتها الرهيبة يجمع على أن نظريات الانهيار العالمية كانت على صواب عندما دقت ناقوس الخطر لمرات عديدة، لكن تحذيراتها كانت لا تجد أذانا مصغية، بل كانت تواجه في كثير من الأحيان بسخرية واستخفاف واستهجان. صحيح أن البشرية أصبحت أكثر تطورا من الأزمنة الغابرة، لكن الوجود الفعلي للمخاطر البيئية التي تهدد البشر صارت عوامل ملموسة ومنها الجوائح الوبائية التي قد تعجل بالانهيار السريع والشامل. ومن بين هذه النظريات المتنبئة بحدوث كوارث مستقبلية نجد التيار العلمي المسمى بـ«علم الانهيار collapsologie» الذي يستند إلى معطيات علمية وحقيقية نتجت عن ظواهر بيئية تعيشها الكرة الأرضية منذ عقود ومن أمثلتها استمرار الاحتباس الحراري واستنزاف الموارد الأحفورية وتآكل التنوع البيولوجي والانتشار النووي المتزايد والجوائح الوبائية عقداً بعد عقد. أليس الانهيار إذن نهاية منطقية لهذا الاندفاع المتهور؟ منذ التحذيرات الأولى في السبعينيات إلى المناقشات المعاصرة حول الأنثروبوسين Anthropocene، يتتبع الباحث لوك سيمال ظهور وتطور التعبئة التي تواجه حركة النمو الصناعي واحتمال الانهيار العالمي. ومن بين البراهين التي استند إليها التحذيرات التي تبرهن على تغير المناخ والذي ترتب عنه تداعيات كارثية، وكذلك التدهور البيئي: عندما صار استهلاك المجتمعات للموارد الطبيعية يفوق قدرة الأرض وتزايد الأوبئة وإصرارها على التحول والانتقال على نطاق واسع.

سيمال، التي تعيد مقارنة النظرية الكارثية (تنسب إلى الكوارث الأرضية ما وقع من تغيرات جيولوجية وحيوية على سطح الأرض)، ليست كأداة بسيطة، أو فكر غير مبال بمواجهة الانهيار، ولكن كأيديولوجية قد تسمح على الأرجح للديمقراطية بإعادة اختراع نفسها. وهذا يتطلب جدولة زمنية قصيرة وطويلة الأمد، وكذلك خططا لمواجهة الحتمية وإعادة التفكير في الطرق التي تشكل بها المشاريع السياسية التي تقوم عليها المجتمعات الحديثة. إن ظهور الديمقراطية حدث في سياق مشروع «النمو والتقدم والوفرة» (ص ٧٢) وقد كان ممكنا لأن الموارد الطبيعية اللازمة لهذا النمو كانت تعتبر غير محدودة. الآن الرهانات مختلفة تماما: يتعلق الأمر الآن بمسألة «إخراج مشروع ديمقراطي أكثر تواضعا من الناحية المادية، وأكثر عدالة اجتماعيا، وأكثر تكيفا مع القيود البيئية للعالم المادي، وأكثر ديمومة» (ص ٧٣). إن مثال البترول، وموارد الطاقة التي تمثل بامتياز نموذج مجتمع الوفرة، ويبدو هنا جليا: سيكون من الضروري إدراك أن البترول يشكل مورداً محدوداً وأن هذه النهايات تعني أنه من المشروع طرح مسألة الاستخدام السليم لهذه الموارد (ص ١١٠). يعتقد الكاتب بأن تأثير النشاط البشري قادر الآن على إحداث تأثير كبير وعالمي على المحيط الحيوي والجيولوجي في كوكبنا، ويعود إلى أصل مصطلح الأنثروبوسين الذي اقترحه العالمان بول كروتزن ويوجين ستورمر في عام ١٩٩٥. هذا المصطلح هو حاليا موضوع مناقشات

ومن أجل القيام بذلك، يعتمد على بيليوغرافيا واسعة النطاق، إيكولوجية وفلسفية واجتماعية وسياسية، من أجل تسليط الضوء على العديد من التقاطعات النظرية للسياسات الخضراء. ويرى أن حججها علمية وعقلانية ولا يمكن الآن، لأي شخص كيفما كان مستواه الثقافي أن ينكر بأننا نعيش اليوم اختلالا في التوازن البيئي، مرده بالأساس إلى احتباس المناخ وانفثاق الغلاف الجوي، وتهديد التنوع البيولوجي نتيجة انقراض الكائنات الحية، وتلوث البحار والأنهار، وانتشار التلوث الضوئي، بالإضافة إلى تطور الاتصال والتواصل والتحول المفاجئ للإنسان إلى عصر رقمي مناقض للواقع الاجتماعي والقيمي والثقافي مما أدى إلى سرعة غير طبيعية في الحياة البشرية وعلى الأصعدة جميعها وكذلك سرعة النمو الديموغرافي وما يفرضه من تغيرات بيئية واجتماعية واقتصادية. يركز الفصلان الأولان من الكتاب على الأسئلة النظرية للعلاقة بين الفكر البيئي والعلوم السياسية المعاصرة. فيحلل سيمال الصعود المشترك لعلم البيئة وعلم الكوارث منذ بداية الستينيات، ثم انحسارهما في الثمانينيات، تحت الدوافع المؤسسية للقضايا البيئية، من أجل مساءلة طرائق المشروع الديمقراطي في المجتمعات الحديثة عندما تواجه هذه الأخيرة أزمة بيئية غير مسبوقه. وهذا ما سمح للمؤلف بتقييم مقارنة معينة للكارثة البيئية، والتي أعادت تركيز النقاش حول تأثير حدود الحتمية للموارد الطبيعية على الهياكل السياسية. وهنا تكمن أهمية حجة

كانت هذه الكتابات حول الكوارث المتوقعة مدعاة للنقد والحصار والتسييس، لكن في السنين الأخيرة لم يعد المجتمع الإيكولوجي ينظر إلى نظريتهم على أنها افتتان وهوس بالكارثة، وإنما باعتبارها فكرا بيئيا ووعيا سياسيا يفرض بالضرورة إلى استخلاص النتائج المنذرة بالخطر والعمل الدؤوب على التحسيس بخطورتها والحيلولة دون وقوعها. تقوم هذه الحركات الفكرية والبحثية بإعادة اختراع المشاريع البيئية بين الاعتدال العقلاني والكوارث المتوقعة. من خلال نضالاتهم وتجاربهم المحلية، تحدد هذه التعبئة في ظل الكوارث الخطوط العريضة لمجتمعات بيئية وديمقراطية تتجاوز استنزاف البيئة وخطر الانهيار التام. لقد شهدت السنوات القليلة الماضية انتشار الخطابات الكارثية التي تغذيها مؤشرات دالة على نهاية العالم، والتي تقدم تشخيصات قاتمة لمستقبل الكوكب ومستقبل البشرية. وعندما لا يتم اختزالها إلى انجذاب نحو هوس مرضي بدنو الكارثة، غالبا ما يتم انتقادها بصفقتها تفكيرا غير عقلاني وغير سياسي، وبالتالي هي خطاب مناهض للديمقراطي. على الرغم من أن هذه الانتقادات لا أساس لها من الصحة، يسعى لوك سيمال في هذا العمل إلى إعادة النظر في شرعية التفكير في الكارثة، من خلال وضعها في سياق تاريخ الأفكار البيئية والسياسية من السنوات ١٩٦٠-١٩٧٠ إلى المناقشات الحالية حول الأنثروبوسين وعلم الانهيار، وتعزيز إمكاناتها الديمقراطية، من خلال أمثلة مختلفة من مبادرات وحركات الناشطين.



بعين الاعتبار مقياس الحاجة الملحة لهذا التمزق. وعليه، فإن الوقائع التي يتم سردها توضح الصلة بين الأيديولوجية والخبرة الضردية؛ فهي تشارك في خلق المعنى في ديناميكيات التعبئة. بالإضافة إلى توفير تحليل لظروف تطور وتلقي هذه السرود عن نهاية العالم بدءاً من العهود القديمة حينما تنبأت الحضارات القديمة بذلك، والتي تجمع بين المعطى السوسيوولوجي والرمزي، تنعكس اليوم على معطيات حديثة إذ نجد سيمال يربط بين السرود الاستعادية والاستباقية حول مرونة المجتمعات المحلية وتعاملها مع النقص في الموارد وتوقعها للكوارث الطبيعية (ص ٣١٣).

إن كتاب مواجهة الانهيار ليس عملاً متشائماً؛ لأن التحليل الذي يقدمه سيمال واضح، سواءً فيما يتعلق بالتحديات المادية التي تفرضها الأزمة البيئية التي لا يمكن إنكارها، أو على مستوى تعقيد الأجوبة التي تفرض علينا الاعتراف بالحقيقة لمواجهة تداعياتها الجسيمة. يعترف الكاتب إن إعادة التفكير بعمق في ديمقراطية عالمية تضامنية، يعني الخروج من خطاب التقدم والوفرة والرخاء للتحرك نحو أفق ما بعد الثروات الأحفورية وما بعد النمو الصناعي والعمراني، وهذه ليست مهمة سهلة؛ لأن عدم اليقين الذي يميز هذا الأفق لا يساعد في أي شيء. ومع ذلك، يُظهر لنا سيمال أن الدروس التي يمكننا استخلاصها من تاريخ الكوارث البيئية ستكون حاسمة وقادرة على تنشيط وتجديد علاقتنا بالطبيعة وتحيين الأنظمة القانونية والتشريعية للحد من الاستنزاف اللامحدود للموارد الطبيعية لأن الأرض التي نحيا فوقها ليست ملك البشر الحاليين وحدهم، بل هي أمانة في أعناقنا للأجيال القادمة. لهذا يجب أن نحافظ على النظام البيئي ونبتعد عن الأنشطة المدمرة لتوازنه، ومنذ الآن وقبل فوات الأوان.

• الكتاب: **مواجهة الانهيار في ظل الكوارث البيئية**

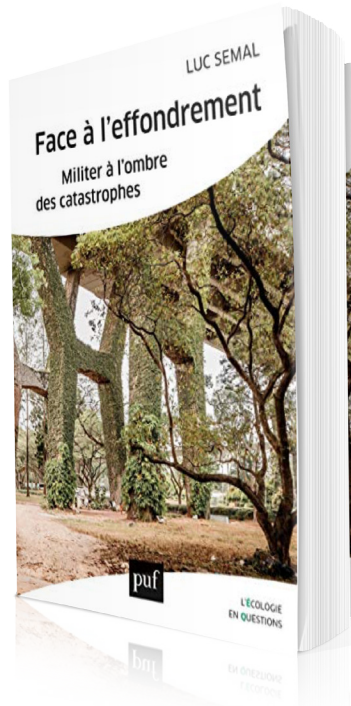
• المؤلف: **لوك سيمال**

• الناشر: **دار بيف، باريس، فرنسا**

• سنة النشر: **2019**

• عدد الصفحات: **361 ص**

\* كاتب مغربي



البيئيين من خلال تحليل مزدوج للعواطف والكتابات التي عبروا عنها ضمن عمليات التعبئة ذات البعد الكارثي. وتحضر عاطفة الخوف من دمار العالم في مقدمتها، وهي عاطفة غالباً ما تقلل قيمتها أو تقمع كمصدر محتمل للذعر والشلل في مواجهة الكارثة. لهذا يتحول إلى خوف عقلاني مسيخ بخطط ومسارات سياسية، ثم تصبح مصدراً للوعي فيما يتعلق بحجم الكارثة الوشيكة. بشكل عام، فإن ما يسمى بالعواطف السلبية (اليأس والغضب...) مرتبط بتهمين «الصددمات الأخلاقية»، لأنها محرك قوي في حشد الأسباب الجماعية. ففهم إذن، في سياق الكارثة البيئية، كيف يمكن لمشاعر القلق أو الإحباط من قصور السياسات المؤسسية على خلق تعبئة ديناميكية بشكل خاص، لمواجهة التحديات البيئية الجسيمة والتي جعلت من الإنسان في ظل الجوائح والكوارث كائناً هشاً وغير لازم للنظام البيئي، لأنه لا يعتبر إلا مصدر ضرر ودمار، ويجدر بالطبيعة أن تتخلص منه.

ثم يوضح سيمال أنه إذا كانت هذه العواطف تولد مثل هذه القدرة على التعبئة، فذلك لأنه تم تأطيرها بمنطق سردى «يقصد الكتابات عن نهاية العالم» الذي يديم الإيمان بالتمزق الإيكولوجي والتحول العالمي، الذي يفرض الحد من التنافر المعري الذي يصاحب التزامات السياسة البيئية. في الواقع، يجد كل مناضل نفسه عالماً في ملزمة بين قناعاته بالعيش في فترة تمزق من جهة، ومن جهة أخرى بين الحياة اليومية والسياق الاجتماعي حيث يبدو أن لا شيء يأخذ

داخل المجتمع العلمي. وقد أصبح شائعاً بالتوازي مع تخصصات العلوم الإنسانية التي تعتبره أداة للتفكير في طبيعة الإنسان وأسلوب علاقته بالعالم الحديث. ومن أجل إبراز مدى تعقيد مثل هذا المشروع، يماثل سيمال بين حياة الأفكار وحياة الأفعال. ويقدم أمثلة ملموسة عن تعبئة وسيرة النشاط الذين يواجهون البعد الكارثي للأزمة البيئية الحالية. وتأتي معظم هذه الأمثلة من فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة من خلال: حركة الانهيار الفرنسية، التي بدأت في عام ٢٠٠١، وحركة المدن الانتقالية البريطانية التي انبثقت في عام ٢٠٠٤. ومن بين التجارب التي ساقها كمثال، نذكر تجربة العالم روب هوبكنز، مدرس الزراعة المستدامة في جامعة كينسالي، الذي دفع طلابه إلى إنجاز تجربة نزول الطاقة المحلي في كينسالي في ٢٠٠٤-٢٠٠٥. ومدد هوبكنز المشروع في العام التالي إلى توتنيس، التي أطلقت مبادرة «المدينة الانتقالية»، وكان الهدف من هذه الحركة الاجتماعية هو ضمان مرونة المدينة، أي قدرة المجتمع المحلي على امتصاص صدمة التخلي عن النفط، وبالتالي اختبار نهاية طاقة وفيرة وجيدة في الأسواق، دون أن يفرق المجتمع في الفوضى» (ص ١٢٧). سيمال يحدد مسار المناضلين في تطور الإيكولوجيا السياسية في العقود الأخيرة بأنهم يأتون أيضاً بشكل رئيسي من فرنسا والمملكة المتحدة، حتى وإن ذكر النشاط الأمريكيين، من خلال أعمال العالم السياسي دوغ ماك آدم على سبيل المثال. لا يمكن بالتأكيد لهذه المجموعة المحدودة من الأمثلة أن تأخذ في الاعتبار بشكل كامل النطاق الواسع للتعبئة البيئية ذات البعد الكارثي التي تعيد التفكير في السؤال المزدوج للأزمة البيئية والمشروع السياسي الديمقراطي. ومع ذلك، تظل الأمثلة التي اختارها سيمال ذات صلة لأنها توضح بجلاء عدم التجانس والاستمرارية داخل الحركات البيئية. وهكذا، فإن حركة تراجع النمو والمدن الانتقالية تؤكد من جديد على التفكير في الحدود والنهائية، ولكنها تختلف عن التكتيكات المستخدمة بحيث تحول مطالبها إلى مشاريع سياسية. وبالمثل، فإن اللقاء بين جيل راند يعيش نهاية حياته النضالية، بنوع من الشعور بالفشل والخيبة، وجيل جديد من المناضلين الذين يعتقدون أنهم سيكونون شاهدين على الكارثة، يُعَدُّ المشهد الحالي للناشطين في مجال البيئة. تكمن الأصالة الفريدة لهذا العمل في الفصلين الأخيرين، اللذين يثران بانوراما حياة الناشطين



## سيكولوجية الأوبئة ستيفن تايلور

### علي الرواحي \*

تأتي أهمية هذا العمل من الأوضاع الراهنة التي تجتاح العالم، وتحديدًا مع انتشار فيروس كورونا كوفيد ١٩، إلا أنه يعود بالذاكرة إلى الإنفلونزا الإسبانية قبل ما يقارب العقد من الزمان والتي حدثت عام ١٩١٨م، حيث أدت تلك الأنفلونزا إلى وفاة ما بين ٥٠ إلى ١٠٠ مليون شخص حسب الإحصائيات الرسمية المنشورة. ففي تلك الفترة أغلقت المدارس والمسارح، واللقاءات الاجتماعية تم حصرها، كما أن الكنائس أغلقت أيضاً بالرغم من الاحتجاجات الواسعة من قبل رجال الدين. في تلك الفترة تسارعت الأحداث بشكل درامي فائق السرعة، فالمرض ينتشر في الصباح ثم تحدث الوفيات في المساء، إذا أخذنا بالحسبان الوضع الصحي في تلك الفترة، والبيئي، وتحديدًا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

كما أن هذه البحوث أشارت وبحسب توقعات منذ فترة ليست بالقصيرة إلى أن هذه الأوبئة تنشأ من بعض سلالات إنفلونزا الطيور، أو عن طريق توافق سلالات طيور مختلفة، كما أنه من الضروري معرفة بأن هذه الأوبئة القادمة لا يمكن تلافيها، وتتسم بالشراسة والفتك، وذلك بسبب ضعف المناعة الحالية مقارنة مع الفيروس الجديد، ويعود السبب في ذلك إلى جملة من الشروط، منها: الازدحام الكبير في المدن، والنقل المتسارع بين المناطق المختلفة والمتباعدة، وبهذه الطريقة تنتشر الجوائح والأوبئة كالنار في الهشيم، ليصل إلى كل زاوية في هذا الكوكب. من المحتمل بهذا المعنى أن يصاب بهذا الفيروس الملايين، ويفتك بعشرات الألوف من البشر في كل بقاع الدنيا. متوسط طفرة الجينات - كما يوضح مؤلف هذا العمل يعتمد على الكثير من التقارير - أو إمكانية إعادة ترتيبها تتسم بالصعوبة، إن لم تكن مستحيلة، وذلك للوقوف في وجه هذه الفيروسات، أو لتجنبها.

وبالرغم من ذلك، فإن بين هذه الجوائح، والإنفلونزا الموسمية نقاطاً مشتركة، ومتشابهة، ولكن هناك أيضاً نقاط اختلاف جوهرية. فالجائحة من الممكن أن تنتشر في الأوقات العادية للإنفلونزا الموسمية، كما أنها من الممكن أن تحدث في أوقات الشتاء المعتدلة وأوقات الصيف أيضاً. من الضروري معرفة أن بعض الإنفلونزا وبخاصة الإسبانية تفك بالمرض بشكل سريع، خاصة المتقدمين في العمر، حيث أنها قتلت أعداداً هائلة من البشر في وقت قصير، فكانوا يمرضون في الصباح ويلقون حتفهم في مساء اليوم، أو في ظهيرة اليوم الثاني، أو في طريقهم للعمل.

من الجانب الآخر، يتسم الحديث والتعامل مع الأوبئة والجوائح بعدم اليقين، والكثير من الارتباك، حول الأسباب الفعلية، والجدية للعدوى وانتقال الفيروس بين البشر، كما تظهر شائعات كثيرة، ويحدث سوء فهم حول طريق العلاج والشفاء. فمن الممكن أن يأتي الوباء على شكل موجات متعددة، وليس مرة واحدة. فالعدوى تحدث بسبب جزئي من التقلبات في التجمعات البشرية، وذلك بسبب التقلبات الموسمية الجوية، وبسبب التواصل مع الآخرين من الجانب

لفهم آلية انتشار الأوبئة. كل فيروس أو وباء يعتبر مصدراً لأوبئة مختلفة قادمة، وهو ما يُفسر إلى حد كبير وجود صلة وثيقة بين فيروس سارس، وفيروس إيبولا، وغيرها. في التعريف، نجد أن الجائحة هي انتشار مرض معد على نطاق واسع يصيب الملايين من الأشخاص في الكثير من بلدان العالم. كما أن الفيروسات أو البكتيريا من الممكن أن تكون سبب هذه الإصابات بسبب عضوي لأولئك الذي لديهم مناعة قليلة، أو يتم من خلالها تناقل المرض بسهولة من شخص لآخر.

في هذا السياق، فإن التطرق لبعض الجوائح الشهيرة التي أصابت البشرية يصبح ضرورياً لفهم الكثير من العوامل، حيث نجد أن جائحة الموت الأسود أو الطاعون الأسود أو الاسم العلمي يرسينيا الطاعونية، الذي انتشر في الفترة من ١٣٤٦م إلى ١٣٥٣م، أودى بحياة ما يقارب من ٥٠ مليون شخص إلى ١٠٠ مليون على مستوى العالم.

كما انتشرت في بدايات القرن الماضي العديد من الجوائح التي كان بعضها معدياً، وقاتلاً بشكل غير مسبوق. مثل الإنفلونزا الإسبانية بين عامي ١٩١٨م إلى عام ١٩٢٠م والتي راح ضحيتها ما يزيد عن ٤٠ مليون شخص، وقبل ذلك الإنفلونزا الروسية بين عامي ١٨٨٩م-١٨٩٠م والتي أنهت حياة مليون شخص أيضاً، والإنفلونزا الآسيوية بين ١٩٥٧م-١٩٥٨م والتي راح ضحيتها ما يقارب المليون والنصف إنسان إلى مليونين، وإنفلونزا هونغ كونغ ١٩٦٨م-١٩٦٩م وقد تجاوز عدد ضحاياها مليون نسمة. كما لا يمكننا نسيان إنفلونزا الخنازير بين عامي ٢٠٠٩م و٢٠١٠م، التي أودت بما يقارب ١٨ ألف نسمة.

مهما يكن فإننا أمام مسميات كثيرة لهذه الجوائح، والأوبئة، فإنها تنتقل بشكل واسع عن طريق الطبيعة، كما أنها غالباً ما تنتقل بشكل سريع عن طريق الحيوانات المصابة بالإنفلونزا إلى الإنسان، غير أنه ليس من السهل التنبؤ بحدوث الوباء القادم. فبحسب البحوث والتقارير فإنه مهما تطورت طرق المراقبة البشرية المختلفة، ليس من السهل تجنب هذه الأوبئة والجوائح المفاجئة.

وبين تلك الفترة الموعلة في البعد التاريخي، والفترة الراهنة هناك الكثير من النقاط المشتركة التي تتجاوز الحدود الجغرافية، والزمنية، والعرقية؛ ذلك أن وباء الإنفلونزا بحسب التصريحات الحالية لمنظمة الصحة العالمية هو أحد الأوبئة التي تهدد العالم في الفترة الراهنة، ففي هذه الفترة تزداد مقاومة الميكروبات مع تزامن ظهور إنفلونزا جديدة ممرضة للغاية، الأمر الذي يثير المخاوف من انتشار أمراض أخرى وتفشيها على المستوى العالمي.

علاوة على ذلك، فإن مسببات الأوبئة بشكل عام، تعتبر معقدة، ومتشعبة. فالعامل الأساسي يعود إلى وجود حاضنة رئيسية مثل الفيروس أو البكتيريا، أو بعض الأمراض في الشخص، أو البيئة المحيطة به. غير أن هذا الحاضن بشكل عام يقابل هذا الفيروس بمقاومة تعتمد على عدد معين من الظروف، مثل: المناعة، الحالة النفسية التي عن طريقها يُعزز الشخص الحاضن للفيروس، أو يقاوم مخاوف العدوى الواقعية. فالعوامل البيئية مختلفة، وكثيرة، منها ما يعزز هذه الحضانة، ومنها ما يعرقلها، أو يقاومها، من خلال وجود استراتيجيات مختلفة للحاضن.

بنظرة بسيطة، يقول ستيفن تايلور مؤلف هذا العمل والطبيب والأستاذ الجامعي، وعلى مدى اثني عشر فصلاً من التحليل والبحث، والرجوع بالذاكرة التاريخية التي يسعى من خلالها للإحاطة بالمسائل التاريخية، والنفسية، المؤدية لانتشار الفيروسات، والآثار النفسية المصاحبة لها، ليس على الأفراد فقط، بل وعلى مؤسسات الدولة المختلفة، فإن انتشار الأوبئة المعدية ليست عبارة عن حشرة، أو فيروس ينتشر تلقائياً حول العالم، بل يعود في جزء كبير منه إلى حالة من تفاعل المجتمع النفسي، بما يُمكنه من لعب دور أساسي في انتشار الفيروس، واحتوائه في نفس الوقت، بما يضمن توسعه عن طريق الضيق النفسي، والخوف المنتشر بين المجتمع. فعندما يسيطر الخوف وينتشر بين أفراد المجتمع على نطاق واسع من تفشي العدوى، فإننا نجد ردود أفعال واسعة، وغير منتظمة من المجتمع. غير أن هذه الردود المختلفة والمعقدة من الضروري أن تؤخذ بالحسبان



وربما السؤال المهم يطرح من جديد، حول كيفية انتقال هذه الأوبئة، وانتشارها بين الأشخاص. فالشبكات البشرية تعتبر هي العامل الأساسي والكبير لتناقل هذه العدوى، فهي تنتشر بسهولة، وسرعة فائقة، بسبب استنشاق الهواء المتطاير من السعال، أو بسبب قطرات العطاس المنتشرة في الأماكن المغلقة. كما أن لمس الفم، والأنف، أو العين كلها مسببات رئيسية لهذه العدوى. مما ينتج لاحقاً عن وجود أسطح عامة ملوثة، يسهل عن طريقها تناقل العدوى بين الأفراد، مثل: الأبواب، الأسوار، أسطح الطاولات، أو حتى الألعاب التي يستخدمها الأطفال. غير أن ما يجعل هذا الانتشار سريعاً هو الكثافة السكانية مع تناقل الهواء الملوث وبشكل خاص في المدن الكبيرة، التي تتوفر فيها مواصلات مزدحمة، يتم استخدامها من قبل عدد كبير من السكان.

ففي هذه الحالات نجد أن بعض الأفراد يساهمون بشكل كبير في انتقال العدوى، حيث يطلق عليهم «الناشرون للعدوى»؛ فيحسب النماذج المبدئية المتوفرة لدى مراكز البحوث، فإنهم يساهمون بنقل العدوى بنسبة ٨٠٪ في بداية انتشار الوباء، ولذلك العديد من الأسباب، أهمها: أولاً: انخفاض المناعة لديهم، وثانياً لا يلتزمون بالنصائح، والوقاية الصحية اللازمة، مثل تغطية اليد أثناء السعال، وثالثاً عن طريق التواصل المباشر والمستمر مع الكثير من الأفراد الذين يجتمعون معهم عن طريق اللقاءات الاجتماعية، أو التجمعات المهنية والوظيفية، مثل: موظفي الطيران، وعمال المطاعم، وغيرهم.

وللوقاية من الأشخاص الذين ينشرون الوباء بسرعة كبيرة، نجد أن استراتيجية مناعة القطيع من الممكن أن تساهم في تقليل هذا الانتشار، أو كما تعرف أيضاً مناعة المجتمع، والتي تعود إلى الحماية غير المباشرة من انتشار العدوى والتي تحدث عندما تصبح النسبة الكبيرة من السكان قد اكتسبت المناعة والتي تحمي بقية السكان من الإصابة. ففي عام ٢٠٠٣م عند انتشار فيروس سارس فإن فترة الحضانة كانت من يومين إلى ١٠ أيام. حيث إن بعض الحالات تم تشخيصها على أنها سلبية في المراحل الأولى، ثم لاحقاً وبعد مرور فترة طويلة تم اكتشاف أنها حاملة للفيروس، بعد أن قامت بنشر العدوى في المنطقة السكنية والتجارية المجاورة.

• الكتاب: سيكولوجية الأوبئة

• المؤلف: ستيفن تايلور

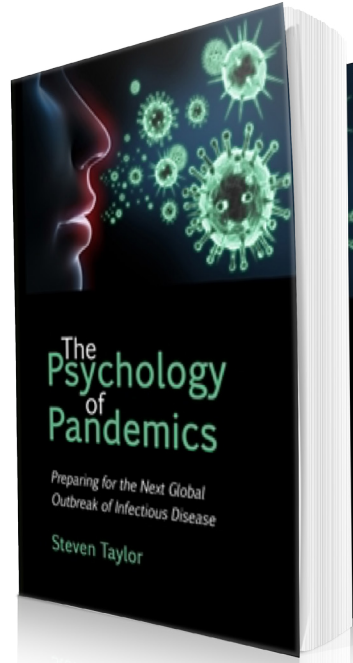
• الناشر: منشورات جامعة كامبريدج،

2019م.

• عدد الصفحات: 175

• لغة الكتاب: الإنجليزية

\* كاتب عُماني



الذي يثير النزاعات، والحنق، ويولد شعوراً بعدم المساواة بين الجميع من قبل النظام السياسي، مقارنة مع توفير كل الحاجيات للأغلبية في البلاد.

من التحديات النفسية الكثيرة التي تساهم بدرجة أو بأخرى في انتشار هذه الأوبئة والجوائح، هو مستوى النظام الصحي، والرعاية النفسية والعضوية للمرضى. وهذا يرتبط بشكل مباشر بقدرة هذا النظام على استيعاب المرضى، والتحكم في هذه العدوى، وضبط انتشار الفيروس في عدد محدد. كما يرتبط أيضاً بنسبة كبيرة في نقص كفاءة وفاعلية المرضين والطواقم الطبي في التعامل مع هذه الأحداث التي تعتبر مستجدة، وغير مسبوق في الكثير من الدول. وهو ما يؤثر على العاملين في القطاع الصحي بشكل كامل، حتى تصلهم العدوى، ويصابون بالمرض وبالتالي تقل قدرة هذا النظام الصحي على استيعاب الحالات المرضية الجديدة. وهذا يؤدي إلى فشل وإخفاق النظام الصحي بسبب ارتفاع موجة المصابين الجدد ودخولهم المستشفيات.

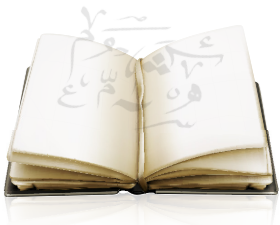
من الممكن أن تصل هذه التحديات النفسية وما يستتبعها من تحديات كثيرة متتالية إلى القطاع الاقتصادي، والبنية التحتية للبلاد، فمع الانتشار المتزايد للمرض أو الهلع والخوف منه، والتشكيك الزائد من انتقاله، يصبح الأشخاص عاجزين عن الوفاء بالتزاماتهم المختلفة، بما فيها الوصول للعمل، الأمر الذي يساهم في انهيار الخدمات الأساسية، وعدم تأدية الأدوار المهنية المنوطة بهم. ففي التيمور خلال الإنفلونزا الإسبانية - على سبيل المثال - تراكمت القمامة في الشوارع بسبب غياب عمال الصرف الصحي، وهذا خلق مشكلة جديدة لاحقاً، فمن المتوقع لهذه الأسباب وغيرها، أن يصل مجمل الخسائر الاقتصادية إلى ما يزيد عن ٣٤ مليار دولار حسب بعض الإحصائيات التي يعتمد عليها هذا العمل.

الآخر. فعلى سبيل المثال فإن الإنفلونزا الإسبانية جاءت على ثلاث موجات مختلفة.

غير أن هناك عوامل نفسية وسيكولوجية مختلفة تساعد على انتشار هذه الجوائح، ومنها الضغوط النفسية، بما يشمله من خوف على النفس وعلى الأحباب المحيطين بالشخص. فربما يكون هناك اضطراب شديد في الروتين اليومي للأشخاص، أو بسبب العزل أو التفرقة بين أفراد الأسرة الواحدة والأصدقاء، أو نقص في الغذاء والأدوية، وانقطاع الأجور أو تقليصها، أو تطبيق التباعد الاجتماعي والجسدي بين الأفراد، ووضع بعضهم في الحجر المنزلي لتفادي نقل العدوى بينهم. كما أن الخوف ينتاب البعض من تعرض بعض العائلات لسوء التغذية، ونقص في الطعام إذا لم يتوفر شخص ما للتسوق، والطبخ بسبب هذه الأوضاع الاستثنائية. علاوة على ذلك، فإن الضائقة المالية من الممكن أن تحدث بسبب مرض الفرد الرئيسي المعيل للأسرة، وهو ما حدث بشكل كبير إبان الإنفلونزا الإسبانية حيث إن التجار عانوا من الضائقة المالية بسبب غياب العمال عن الحضور للعمل في الأسواق، أو تزايد المخاوف من التعرض للمرض وانتقال العدوى. فمن الممكن أن يكون تأثير الخوف من حدوث الضائقة المالية، والعجز الاقتصادي، مساوياً في تأثيره للعدوى ذاتها، وخاصة لدى بعض الأشخاص الذين لديهم تجربة مريرة مع المشاكل الاقتصادية، ويخافون من العودة إليها، والعيش في آثارها.

تشير المذكرات الشخصية للكثير من الحالات التي عانت من هذه الأوبئة، والتي يعود إليها المؤلف بشكل مستمر، إلا أن الرعب الداخلي، والقلق الكبير من رب الأسرة على أفراد عائلته يساهم بشكل كبير في الإرهاق الداخلي، وتزيد نسبة المرض، حيث إن الشك الداخلي من الممكن أن يؤدي إلى عدم القدرة على مواصلة العمل، وبالتالي انقطاع الدخل المالي على أفراد الأسرة؛ الأمر الذي يؤثر على الوضع الصحي، والغذائي بشكل عام. كما أنها تشير أيضاً إلى أن وفاة أحد المقربين، من الممكن أن تساهم في زيادة الذعر الداخلي، وانتظار وصول المرض والوفاة إلى الشخص ذاته، وهو ما حدث لدى الكثير من الأفراد في وقت الإنفلونزا الإسبانية.

من جانب آخر، فإن بعض المهاجرين إلى الكثير من الدول يقعون فريسة للكثير من الصدمات التي تنتابهم بسبب هذه الجوائح، وذلك بسبب النقص الكبير في تلبية الاحتياجات من جهة، وربما الوضع المالي المتدني من الجهة الثانية، ويتعلق بشكل كبير بالخدمات المتبعة لها، حيث إن بعض المعتقدات الدينية تقتضي دفن الموتى، أو حرقهم في الديانات الأخرى، وفي حالة الوفيات الكثيرة، يصبح توفير مثل هذه الشروط لكل الجاليات بتعدد معتقداتها المختلفة صعباً جداً، إن لم يكن مستحيلاً، الأمر



## كيف تصنع الأمراض التاريخ منذ العصر القديم حتى اليوم؟ رونالد د. غيرسته

رضوان زاوي \*

صدر كتاب «كيف تصنع الأمراض التاريخ منذ العصر القديم حتى اليوم؟» للمؤرخ والصحفي وطبيب العيون الألماني رونالد د. غيرسته Ronald Dietmar Gerste في مارس ٢٠١٩. ويعتبر هذا العمل جزءاً من مشروع توثيقي لتاريخ أمريكا وأوروبا، وتكملة لكتاب سبق أن نشره هذا المؤرخ عام ٢٠١٥، تحت عنوان «كيف يصنع المناخ التاريخ: الكوارث وتغير المناخ منذ العصر القديم حتى اليوم»، تناول فيه تأثير المناخ على الأحداث التاريخية وعلى التغير المناخي عبر التاريخ.

في كامل قوته البدنية والعقلية في معركة واترلو الحاسمة، فقد كانت الأمراض هي العامل الحاسم في مسار التاريخ، وكان من المؤلف إصابة ممثلي التاريخ بالأمراض في اللحظات الحاسمة، ما جلب عواقب مصيرية في أغلب الأحيان. وتنطبق هذه الفكرة على الفصلين الأولين من هذا الكتاب، وهما أهم فصلين عالجا تاريخ أوروبا، فقد حكم هؤلاء بلادهم لفترة قصيرة جداً، لكنها كانت فترة حكم حاسمة ومهمة.

ويذكر المؤلف في الفصل الأول أن مرض الإمبراطور البروسي فريدريش الثالث (١٨٣١-١٨٨٨) (بسرطان الحنجرة، قد دمر جميع آمال البرجوازية الليبرالية في ملكية دستورية. كان الليبراليون يعتبرونه منارة الأمل، ويمكن أن يقود ألمانيا إلى ملكية دستورية تقدمية. فهل كان بوسع إمبراطور التسعة والتسعين يوماً فعلاً تجنب ألمانيا ويلات الحرب العالمية الأولى؟ وكان فريدريش الثالث قد تولى الحكم مدة تسعة وتسعين يوماً، وعُرف عنه تشبّهه بالأفكار التحررية التي تلقاها من أمه وزوجته الإنجليزية-وهي أخت الملكة البريطانية فكتوريا (١٨١٩-١٩٠١) (التي سُمي العصر الفكتوري باسمها، وشهدت فيه بريطانيا ثورة صناعية وثقافية وسياسية وعلمية-، واعتقد الليبراليون أنه معارض لسياسة والده الإمبراطور ومستشاره بيسمارك المحافظة، لكن سرطان الحنجرة قتله ودُفن معه الأمل في رؤية مختلفة تماماً لحكم ديمقراطي في ألمانيا. وهنا يمكن فقط التكهن بمصير ألمانيا لو حقق الإمبراطور أحلام الليبراليين في دولة ديمقراطية، ولو أن ابنه فلهيلم الثاني، الذي أودى بألمانيا نحو مصيرها المحتوم في الحرب العالمية الأولى، لم يتسلم الحكم إلا بعد عام ١٩٢٠. رغم ذلك يبقى التكهن قوياً أنه ربما لو عاش الملك فريدريش الثالث إلى ١٩٢٠ لكان قد جنب ألمانيا ويلات الحرب العالمية الأولى، على الرغم من تشكيك بعض الباحثين في قدرة فريدريش الثالث في تحقيق تلك الأحلام رغم ميوله لأفكار زوجته التحررية، فقد كان مؤمناً بعقيدة الجيش البروسي ومخلصاً للملكية، وولاؤه للملكية وإصابته بسرطان الحنجرة هما اللذان خيبا آمال الليبراليين.

أما في الفصل الثاني فيتساءل الكاتب عن النحو الذي كانت ستبدو عليه «الخريطة الطائفية البريطانية» لو لم تستسلم ماري تيودور (١٥١٦-١٥٥٨) (الأسطورية لورمها في وقت مبكر جداً؟ فقد دخلت ماري تيودور التاريخ باسم «ماري الدموية»، لأنها أرادت في القرن السادس عشر تحويل إنجلترا بوحشية إلى معقل للإيمان الكاثوليكي، بدعم من زوجها الإسباني ولي العهد فليب. وربما بدون موتها بسبب الورم المبكر، لكانت خريطة أوروبا

الإنسانية، وهذا التحالف أعطى ثماره بالفعل من خلال كتابه الأكثر مبيعاً «كيف يصنع الطقس التاريخ» (٢٠١٥) الذي درس فيه عاملاً تاريخياً آخر، هو المناخ، ودرس المؤلف فيه الأحداث التاريخية الرئيسية من وجهة نظر الأرصاد الجوية وبحث تأثير الطقس في مصير العالم، فقدّم لنا مفهوماً ماثلاً للمفهوم الذي تابعه في هذا الكتاب بطرحه للسؤال: «ماذا لو...».

يمكن القول إن السيرة الشخصية الممزوجة بالسيرة المرضية، التي يسعى الكاتب إلى توثيقها في هذا الكتاب، تؤدي تلقائياً إلى سؤال المضاربة «ماذا كان سيحدث لو...؟». فالواقع المعاكس هو دائماً جانب من انشغال المؤلف بالتاريخ. ارتباطاً بهذه الفكرة، يؤكد المؤلف أن مرض صنّاع القرار يحدد بشكل حاسم مسار الأحداث، ويُلقب بعض المؤرخين بالنظر إلى أن مرض هؤلاء الأشخاص مؤثر في التاريخ، تماماً مثل انتشار الأوبئة والأمراض، فقد كشفت الدراسات العلمية أن الطاعون والزهرى والإيدز هدّدت الناس في زمنهم وتركت بصمتها في وعيهم، وأن الطاعون الدبلي المسمى «الموت الأسود»، الذي وقع ضحيته نحو ثلث سكان أوروبا في منتصف القرن الرابع عشر تقريباً، كانت له آثاره الاجتماعية والاقتصادية الكاملة. كما استمر مرض الزهرى في أجزاء كثيرة من العالم لأكثر من ٤٠٠ عام. وتقول بعض الروايات إن لويس الرابع عشر وبعض الباباوات عانوا من المرض التناسلي، وأيضاً العديد من الفنانين مثل لودفيج فان بيتهوفن وفرانز شوبرت أو الشاعر الألماني هاينريش هاينه. ومع ذلك نجد أنه من الصعب تخيل التطور الذي كانت أوروبا ستخذه بدون هتلر في القرن العشرين، على سبيل المثال. فقد أثبت التاريخ أنه متى كانت هناك سلطة مطلقة في أيدي قلة، فإن هذا يكون تأثيراً كبيراً على مسار التاريخ، ولا يتعلق الأمر بالملوك والأباطرة في العصور القديمة فقط، لكن الديمقراطيات الحديثة بدورها كانت وما زالت عرضة لمثل هذه التحولات، خاصة إذا ما تم وضع سلطات واسعة في يد شخص يمكن أن يصبح فجأة مريضاً، وخير مثال على ذلك الديمقراطية الأمريكية، حيث سيتعرف قارئ هذا الكتاب على العديد من الرؤساء الذين أثرت أمراضهم في تقرير مصير العالم.

ويحاول الكاتب الإشارة إلى إغراءات التكهن بكيفية سير الأمور في هذا الكتاب فيرافق المؤلف بعض المرضى المشهورين في معاناتهم، وي طرح السؤال الجوهرى: ما هو المسار المختلف الذي يمكن أن تسلكه الأحداث لو...؟ - لو نجحت على سبيل المثال محاولة اغتيال هتلر في يوليو ١٩٤٤، أو كيف سيغدو عالمنا لو كان نابليون

يتبنى الصحفى غيرسته في كتابه الجديد والعاير للتخصّصات، بأسلوب علمي تدريسي ممتع ومحفز، ضمن رؤية معرفية احترافية للنصوص التاريخية، الأطروحة القائلة إن أمراض الكثير من قادة الدول العظمى غيرت مراراً وتكراراً في مسار التاريخ وفي مسار الشؤون العالمية في اتجاه آخر، كما أثرت أمراض المنقذين والأدباء والفنانين في مصير مجموعة من الأعمال الفنية والثقافية المعروفة. وساهمت الأمراض من الطاعون إلى الزهرى إلى الإيدز في صنع التاريخ، ووجهت مصير عصور كاملة، حيث ارتبطت الأمراض والأوبئة والسياسة والاقتصاد دائماً ببعضها البعض على مر العصور وأثرت على نتائج الحروب، كما حدّدت أيضاً حياة وثقافة ووعي الشعوب فغيّرت حياة الناس. ويجمع هذا العمل بين دفتيه سبعة وعشرين فصلاً. وحسب التقسيم الذي تصورناه لهذا الكتاب المهم، وإضافة إلى فاعل المناخ الذي تطرق له الباحث في كتابه «كيف يصنع المناخ التاريخ»، يركّز المؤلف على ثلاثة فاعلين أساسيين في هذا الكتاب:

أولاً: الشخصيات السياسية التي تأثرت إنجازاتها بالأمراض أو بالموت المفاجئ، فقد بدّل مرض أو موت شخصيات تاريخية مجريات التاريخ، من أمثال: فريدريش الثالث قيصر التسعة والتسعين يوماً في ألمانيا، وماري تيودور ملكة بريطانيا، وألكسندر الأكبر فاتح العالم، وغوستاف الثاني ملك السويد، وجورج واشنطن وودرو ويلسون وهتلر وفرانكلين روزفلت، وجون ف. كيندي. ثانياً: مرض أو موت الشخصيات الثقافية، التي خصّص الباحث لها حيزاً مهماً لكونها أثرت في الذوق الفني العالمي. فقد أثر وضعهم الصحي بوضوح على أعمالهم وآثارهم الفنية والأدبية والثقافية، مثل بيتهوفن الذي أصيب بالصمم، وفريدا كاهلو الرسامة المسيكية التي أصيبت بالشلل، والأديب الألماني جورج بوشنر الذي أصيب بالتفويد وتوفي وعمره ٢٣ سنة، ورغم ذلك حصل على أكبر جائزة أدبية ألمانية، ويوهان سباستيان باخ الذي كان ضعيف البصر، وجورج أورويل الذي أثر مرضه بالسل على كتابته لروايته المشهورة ١٩٨٤، ومات وهو لا يتجاوز سن السادسة والأربعين. ثالثاً: خصّص الباحث فصولاً في موضوع الأوبئة والأمراض مثل الطاعون أو الموت الأسود الذي فتك بأوروبا، أو الزهرى، أو الجدري الفتاك، إضافة إلى النقرس الذي يتسبب في الوفاة المبكرة والوباء العالمي الكوليرا، ثم الإنفلونزا أو البرد القاتل، والسل والإيدز.

وتتميز معارف المؤلف على أنها تتكون من تألف بين العديد من التخصصات، وقائمة على المعرفة بالعلوم الطبيعية والعلوم



توفرت مناصب الشغل، وانخفضت الأسعار، وحصلت النساء على فرص للعمل في وظائف كانت محرمة عليهن من قبل. أما قصة الجدري فهي جديرة حقيقة بالتوثيق في هذا الكتاب، فقد كانت مثالية الاكتشاف البريطاني في اللقاح هدية للعدو التقليدي نابليون. قام نابليون بتطعيم جيشه وابنه عام ١٨٠٥ باللقاح الذي اكتشفه الطبيب البريطاني إدوارد جينر، فتراجعت الوفيات في فرنسا وفي العالم، وقدم نابليون ميدالية للطبيب الإنجليزي تعبيراً عن شكره له، كما لبى الإمبراطور الفرنسي دعوة الطبيب له إلى إطلاق سراح أسيرين بريطانيين، وقال الإمبراطور الفرنسي: لا نستطيع رفض طلب أحد أعظم من قدم خدمة للإنسانية.

وهكذا ارتبطت مجموعة من الأسئلة والأجوبة، بهذه الشخصيات التاريخية والفنية المؤثرة في التاريخ، وبهذه الأمراض والأوبئة، نعتقد أن أهم نتيجة لهذه الوقائع والأحداث؛ التكهّنات والافتراضات التي وضعها المؤلف بخصوص مصير العالم. ويقول المؤلف إنه ربما كان التشاؤم الفظيع الذي جلبته معها الأوبئة والأمراض، قد تحول إلى تفاؤل في العالم الجديد؛ فقد تفوقت أوروبا على الأوبئة وتم تنظيفها مثل فعل الشمس بعد المطر.

وقد يستغرب القارئ هذه النتيجة التي توصل بها الكاتب، لكنه يجب ألا ينسى أن هذا الكتاب صدر قبل اجتياح فيروس كورونا ألمانيا وإيطاليا وإنجلترا وأمريكا وباقي دول العالم، لهذا، وربما بنفس عدل منطق الكتاب، يحق لنا: كيف سيستطيع الكاتب صياغة أطروحة كتابه هذا لو أنه اشتغل عليه في شهر مارس ٢٠٢٠، أي بعد انتشار وباء كورونا والخسائر التي تسبب فيها وظهور السلوكات المرتبطة بانتشار الوباء؟ وربما نستطيع التكهّن أيضاً بأن النتائج لن تختلف كثيراً عما أورده الكاتب، من خلال مجموعة من القضايا المرتبطة عموماً بسلوك الدول والأفراد، ومنها: إخفاء المعلومات الحقيقية عن أسباب الوباء أو العدد الحقيقي لضحايا الوباء، واحتكار السلع وانتشار هاجس الشراء، وانتشار بعض مظاهر العنصرية والتهم المتبادلة، ومظاهر سرقة المواد الطبية. وقد يكون التغيير الظاهر هو أن الوباء الجديد لم ينتشر في العالم عبر عربات البواخر الضيقة فقط، كما حدث مع الكوليرا، ولكن أيضاً بواسطة الطائرات.

• **الكتاب: كيف تمنع الأمراض التاريخ منذ العصر القديم حتى اليوم؟.**

• **الكاتب: رونالد د. غيرسته. Ronald Dietmar Gerste**

• **اللغة: الألمانية.**

• **دار النشر: منشورات كوت-كوتا-Klett-Cotta, شتوتغارت, ألمانيا.**

• **تاريخ النشر وعدد الصفحات: مارس 2019, 385 صفحة.**

\* **باحث في الدراسات الثقافية المقارنة - الرباط/المغرب**



بالنسبة للتاريخ، والتي يتعامل معها المؤلف انطلاقاً من تاريخ مرض الشخصيات التاريخية الهامة. وكذلك الشأن بالنسبة للأوبئة التي أثرت في مصير العالم من خلال انعكاساتها على الوضع الديمغرافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي. ومن أمثلة هذه الأوبئة يذكر المؤلف الكوليرا، فني هامبورغ تصدّرت أخبار هذا الوباء عناوين الصحف، مما أساء إلى صيت المدينة عالمياً. وكان مألوفاً عند حدوث الأوبئة محاولة إيقاف الأخبار، كي لا يتأثر الاقتصاد الوطني. كانت الكوليرا آخر وباء كبير أصاب ألمانيا في ١٨٩٢، التي أصيبت تعاني من الكوليرا ومن الحرب على حد سواء. وبعد انتهاء الكارثة الصحية في مدينة هامبورغ، تم سنّ قوانين جديدة بهدف تحسين ظروف المعيشة والصحة والنظافة والبيئة، كما تم تحسين شروط الصحة في المراكب وفي الميناء وتم خلق منصب طبيب الميناء، كما تم إنشاء مصنع لحرق النفايات في هامبورغ، تم بناؤه عام ١٨٩٣ باعتباره أول مصنع في ألمانيا. ومن خلال تعديل دستوري شاركت قطاعات أكبر من السكان في العملية السياسية. ومعروف أن الكوليرا تنتشر أيضاً بين ضحايا الحروب، وفي وقتنا الراهن أصيب الآلاف من اليمنيين بهذا الوباء. فقد تُوّجّه هذا العام من جرّاء الكوليرا ما يقرب من ٢٠٠٠ يمني منذ أن بدأت فاشية هذا الوباء في الانتشار سريعاً في نهاية شهر نيسان/أبريل. وقد صرح الدكتور تيدروس أدهانوم غيبريسوس، المدير العام لمنظمة الصحة العالمية، قائلاً: «لإنقاذ الأرواح في اليمن، يجب علينا أن ندعم النظام الصحي... فالشعب اليمني لن يستطيع التحمل لفترة أطول -واليمينيون في حاجة إلى السلام لإعادة بناء حياتهم وإعمار بلدهم».

أما الطاعون فقد تسبب في أكبر كارثة ديمغرافية في أوروبا. طرق الوباء أوروبا في القرن السابع عشر، ورافق تمدد الموت الأسود ظهور بعض مظاهر العنصرية فانتشرت موضة البحث عن كبش فداء تمثل في الإشارة إلى غضب الرب على اليهود. وبسبب ابتعاد الإنسان عن الحيوانات، وانتشار موجة النظافة البدنية بفضل أفكار عصر التنوير، تم إخماد الطاعون. وعرفت فترة ما بعد الطاعون تحسناً في الوضع الاجتماعي في أمريكا وأوروبا، فقد

الدينية اليوم مختلفة. ولم يكن الوباء السرطاني وحده السبب، بل إن ما يسميه الباحث في كتابه مرض «وهم الحمل» الذي جعل الملكة الإنجليزية تتوهم مرتين أنها حامل بولي العهد من زوجها الأمير الإسباني، وتوهمت معه الوحدة بين إسبانيا الكاثوليكية وإنجلترا البروتستانتية، كان دافعاً إلى ما سطره التاريخ في تلك الفترة المظلمة من تاريخ بريطانيا. فهل لو كان الحمل حقيقياً، كان سيجعل من إسبانيا دولة عظمى في عالمنا المعاصر باتحادها مع بريطانيا؟ وهل كان وهم الحمل عند الملكة، ثم الوباء، قد عجلًا بإفشال هذا المشروع؟ كانت ماري الدموية مصابة بأربعة هواجس: هاجس إثبات حقها الشرعي في اعتلاء العرش البريطاني، ثم هاجس الدفاع عن الكاثوليكية لتضمن شرعيتها، ولكي تضمن إثبات شرعية حكمها ونشر الكاثوليكية، غرقت في هاجس توحيد بريطانيا مع إسبانيا الكاثوليكية بزواجها من ولي العهد الإسباني فليب. ولم تكن ستضمن توحيد المملكتين إلا بحملها بولي العهد، ولأنها كانت تقترب من سن الأربعين، وأصبح حملها شبه مستحيل، فقد أصيبت بالهاجس الرابع وهو الحمل الوهمي. وكان من آثار حكمها الدموي الذي دام خمس سنوات استمرار حرب الثلاثين سنة بعد إعدامها. أثرت هذه الأحداث على تطور الديمقراطية الليبرالية في إنجلترا، فغالبا لا يهتم الباحثون بالعلاقة بين معاناة ماري مع الحمل الوهمي والزائف ودمويتها، لكن أختها حكمت خمساً وأربعين سنة وكان عصرها ذهبياً ظهر فيه الكاتب العظيم شكسبير وانتشرت فيه اللغة الإنجليزية عبر العالم.

ومرة أخرى، وتاماً كما في مثال الفصل الثاني، تختلط المصالح الدينية بالدينية في الفصل الثامن من هذا الكتاب، ففي عام ١٦٣٠ قرّر ملك السويد غوستافوس أدولفوس الثاني الوقوف ضد الطوفان البابوي الآتي إلى شطآن السويد، ونزل على شاطئ ألمانيا الشمالي كبطل لينقذ البروتستانت، بينما كان ينوي في حقيقة الأمر السيطرة على الرابطة الهانسية وتحويل البلطيق لبحيرة سويدية. انتصر غوستاف لاحقاً في نصرين حاسمين وسقط قتيلاً في معركة لوتزن في ١٦ نوفمبر ١٦٣٢. ويتساءل الكاتب كيف سيحوّل التاريخ لو لم يسقط غوستاف أدولف الثاني في معركة لوتزن؟ ربما سيكون تأثير السويد على ألمانيا كبيراً، فقد قلب تدخله هذا الطاولة، وأجبر ألمانيا على القيام بالتسوية بين المذاهب ونشر قيم التسامح.

وسيلحظ القارئ أن المؤلف يستدعي تاريخ أمريكا بقوة في هذا الكتاب، ويعتقد أن أمريكا عانت من هاجس تاريخي هو إخفاء مرض الرئيس. فقد تم إخفاء حالة وودرو ويلسون الصحية السيئة في مرحلة سياسية عالية حاسمة بين عامي ١٩١٩ و١٩٢١، فتوسّع فراغ السلطة في البيت الأبيض مما أدى إلى شلل السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وعندما تعرض ويلسون لسكتة دماغية خطيرة وأصبح عاجزاً بسبب الجلطة ومرض الشلل وأصيب بالسكتة الدماغية وضعف البصر في أكتوبر من عام ١٩١٩، أخضت زوجته إديث خطورة مرضه، وقامت بإصدار الأحكام بالنيابة عنه، ما جعل البلاد تحت رحمة زوجته التي أدارت شؤون البيت الأبيض في سرية تامة. وربما كان هذا الأمر جيداً لمستقبل أمريكا، فقد اعتبره منافسوه سياسياً أمريكياً ساذجاً بأفكار سياسية خارجية مدفوعة بالتعصب الديني، وأنه كان من «رؤاد رئاسة الدولة الإمبريالية».

إن الأسئلة التي طرحها الكاتب تشير بوضوح إلى أهمية الأمراض



## الأمراض الوراثية والأوبئة أن أجيت كومار وبراديب كانانكود

فيرابوراتو عبد الكبير \*

يدعي الناشرون أن هذا الكتاب يُصدّر كحلقة من سلسلة كتب تخصص العلوم الأساسية (Basic Science Books). يحاول الكاتبان تقديم الموضوع في أسلوب بسيط سلس، يتوافق مع مدارك الطلاب والقارئ العادي. وينقسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول يتناول عدد ٣٨ مرضاً وراثياً مثل فقر الدم المنجلي، وعمى الألوان، والعميوفيليا (نزعة النزف الدموي)، ومتلازمة داون، ومتلازمة كلاينفلتر، ومتلازمة تيرنر، والمهق (Albinism)، وجفاف الجلد المصطبغ، و Ichthyosis (نوع من مرض الجلد يدعى سماك)، وقزم قصور الدرقية، وعته المحاور العصبية عند الرضع (amaurotic idiocy)، وفرط حمض يوريك الدم، وبيلة الكابتون (Alkaptonuria)، وتوسع الشعريات (Telangiectasia)، ومرض هونتينغتون (سُمي بهونتينغتون لأن جورجاً هونتينغتون هو الذي اكتشف هذا المرض عام ١٨٧٢ أول مرة، وسبب المرض وجود خلل في أحد الجينات في كروموسوم الرابع. المصاب بهذا المرض يفقد التحكم على عضلاته، فلا يستطيع الاستقامة، ويكون مشيه بشكل الرقص). وانعدام الدماغ (Anencephaly) الذي يسبب الموت للطفل فور ولادته، والسنسنة المشقوقة (Spina Bifida) الذي يترتب عليه موت المولود الجديد بسبب نمو النخاع العظمي قبل تشكل عظم الجنين الفقري، ونقص الكولاجين الذي يشير إلى انكسار العظام (Osteogenesis imperfecta)، (إذا ظهرت أعراضه عند الولادة سيموت الطفل بلا تأخير)، وقزم الودانة (Achondroplasia dwarfism) الناتج من عدم التناسب في نمو اليد والرجل، و Ehlers – Dalos syndrome الذي يُظهر تمدد جلد الجسد كالمطاط إلى ٨ بوصات تقريبا عند تمديده، وكان الطبيبان الدنماركيان أدوار إيليرس وألكسندر دالوس هما اللذان اكتشفا هذا المرض ولذلك سمي بهذا الاسم، و Club – foot الذي يسبب تشوه القدم، والبرص، وتصلب الأذن، وتدلي الجفون العضلية، والطفح الجلدي فراشي الشكل (وجود علامة كصورة فراشة على جانبي الأنف)، والذهان الهوسي الاكتئابي، والصرع، وكروموسوم فيلادلفيا (وهو الحرمان من جزء من أجزاء كروموسوم الثاني والعشرين، سمي بذلك لأنه تم اكتشافه أول مرة في فيلادلفيا)، وبيلة الفينيل كيتون (نوع من أمراض الإعاقة الذهنية)، ونقص الشعر والقولون القرحية (نوع من أمراض العيون)، ومتلازمة اختفاء العين بالولادة، واعتماد عدسة العين، والزرق (Glaucoma)، ومرض السكر (Diabetic)، وسكيسوفرينيا (نوع من الأمراض النفسية).

طبور أصابها الالتهاب الشعبي (Bronchitis). نتيجة للاختبارات التي جرت خلال ٧٠ سنة اكتشف الأطباء أن فيروس كورونا قد يُصيب الفيران والكلاب والديوك التركية والحصان والخنازير والنعام. أما ما اكتُشف في الصين من كورونا فهو نوع جديد مما تغير جينياً. جميع العالم حالياً تحت تهديد هذا المرض المعروف بـ «كوفيد ١٩» وهو المنتقل من الحيوانات إلى الإنسان ثم يعدو إلى نطاق واسع. ويقال إن أعراضه ستظهر خلال ١٤ يوماً من دخوله في جسم الإنسان. لم يتم اختراع أي لقاح وقائي لهذا المرض الخطير حتى الآن. ليس أمامنا إلا الابتعاد الاجتماعي والحجر الصحي (Quarantine). (يمتّن العالم لابن سينا في الحجر الصحي لمكافحة الأوبئة، لأنه هو الذي اقترح هذا الإجراء أول مرة في التاريخ. توصل ابن سينا إلى نتيجة أن بعض الأمراض تنتشر عبر الكائنات الدقيقة، وحينها أوجد طريقة لعزل الناس لمدة ٤٠ يوماً، ومن هنا جاءت التسمية العالمية الحالية Quarantine حيث قام بعض التجار في البندقية ذلك الوقت بأخذ هذه الطريقة الناجحة ونقلها لإيطاليا تحت مسمى Qarantine والتي تعني «أربعين» باللغة الإيطالية. كانوا يعزلون ركاب السفن في جزر قريبة لمعرفة ما إذا كانت لديهم أعراض الطاعون أم لا، قبل أن يسمح لهم بالوصول لشواطئ المدن؛ أثناء الطاعون الذي اجتاحت أوروبا عامي ١٣٤٧ و ١٣٥٢).

استثناءً من المعلومات العامة عن فيروس كورونا لا يحتوي

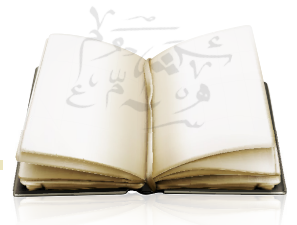
أيضا يتنوع إلى طاعون بوبونيك وطاعون نيومونيك. ومن الأمراض الأوّالي الملاريا (البرداء) وداء الأميبات وداء البرقوقي (Balantidiasis) وداء الجيارديات (Giardiasis) وكالا زار (Kala Azar) وداء المثقبيات (Trypanosomiasis). ومن الأمراض الجنسية الإيدز ومرض الزهري والسيلان (Gonorrhoea). وأما أمراض الديدان الطفيلية فمنها داء الفيليريات والدودة الوحيدة (Taenia Solium) وداء الصفر (Ascariasis) وداء الأنكلستومات الجلدي (Ancylostomias). ومن الأمراض الفيروسية الجدري والحصبة (Rubeola) والحصبة الألمانية والنكاف (Mumps) وشلل الأطفال وداء الكلب والتهاب الكبد وحمى الضنك وحمى الصفراء و Chikkun Gunia وأنفلونزا الخنازير ونيباه (Nipah) الناتج من فيروس تحمله الخفافيش وداء ينتقل من فيروس كورونا.

خلافاً للقسم الأول يتناول هذا القسم كل وباء بالتفصيل، من حيث طبيعة الفيروس وكيفية تنقله إلى الإنسان والوسائل الوقائية اللازم اتخاذها ضد الفيروس المعني وأعراض المرض وتشخيصه والعلاج المطلوب وتاريخ المرض وعواقبه. جميع هذه المعلومات نجدها تحت عنوان كل داء. إن كورونا مجموعة كبيرة من الفيروسات المسببة لأمراض، من الزكام إلى «سارس» و«ميرس». تم اكتشافه عام ١٩٣٧ في

تسمى هذه الأمراض أمراضاً وراثية بسبب جينات لا تعمل بشكل سليم في الجسم. وقد اعتنى المؤلفان بشرح هذه الأمراض في صورة مختصرة لا تتجاوز أكثر من صفحتين، ولا يخوضان في الجوانب الطبية المعقدة لتلك الأمراض؛ لأن الكتاب لا يستهدف الخبراء في مجال الطب بل العامة والطلاب فقط. وقد اهتم الناشر بتصميم الصفحات برسوم بيانية وصور فوتوغرافية تتعلق بالموضوعات. وبلي هذا المختصر المفيد بضع صفحات تلقي الضوء على الوسائل الوقائية لمكافحة الأمراض. نقرأ فيها كيف أن الجراثيم تدخل أجسادنا وكيف أنّ أجسادنا تقاوم تلك الجراثيم بأنظمتها الطبيعية، وكيف يمكن أن نكافحها باتخاذ الوسائل الوقائية المبنية على التجارب العلمية مثل اللقاح والتطعيمات المختلفة.

وفي القسم الثاني يخوض المؤلفان في موضوع الأوبئة، ويمكن تصنيفها كالتالي: الأمراض الفيروسية وأمراض البكتيريا وأمراض الأوّالي (Protozoan diseases) والأمراض الفطرية (Fungal Diseases) والأمراض الجنسية والأمراض الناتجة بنقل الدم وأمراض الديدان الطفيلية. وتتفرع كل هذه الأنواع إلى أنواع أخرى، ومن الأمراض البكتيرية الطاعون والتيفوئيد ومرض السل والجذام والالتهاب الرئوي والكزاز (Tetanus) والجمرة الخبيثة (Anthrax) وداء البريميات (Leptospirosis) والخنق - الديقفريا - والسعال الديكي. أما الطاعون فهو





تايمز» البريطانية في ٢٠ مارس حول توقعاته لما سيحدث في العالم بعد التغلب على مرض كوفيد ١٩. يقول إنه سيمر هذا الطوفان وسوف يعيش أغلبنا، ولكن في عالم مختلف: من أجل منع وباء كورونا على الجميع التقيد ببعض التعليمات المحددة. هناك طريقان رئيسان للوصول إلى هذا الهدف. الأول: أن تقوم الحكومة بمراقبة الناس ومعاينة كل من ينتهك القوانين. قبل نصف قرن لم يكن بوسع المخابرات السوفياتية «كيه جي بي» مراقبة ٢٤٠ مليون نسمة على مدار ٢٤ ساعة. لكن الدول الحالية باتت تعتمد على تقنيات مراقبة وتجنس موجودة في كل مكان. أما هذا الوباء فيمكنه أن يشكل تحولا كبيرا في تاريخ مراقبة الأفراد، يمكنه الانتقال من مراقبة ظاهر الأشياء إلى مراقبة ما هو مخفي.

«في السنوات الأخيرة حدث صراع كبير حول «الخصوصية»؛ أزمة كورونا ستكون نقطة تحول هذا الصراع، لأنه لو سمحنا للناس بالخيار بين الخصوصية وبين الصحة فإنهم سيختارون الصحة. جذور المشكلة تكمن في هذه المسألة أنه سوف يُطلب من الناس أن يختاروا بين «الخصوصية» وبين الصحة، وهو انتخاب خاطئ... فعلينا الاستفادة من «الخصوصية» ومن الصحة، وانتخابنا يمكن أن يكون في حرصنا على سلامتنا وفي قدرتنا على مواجهة الوباء، وفي عدم إنشاء أنظمة مراقبة شمولية، بل تمكين المواطنين. إن الرقابة المركزية والعقوبات القاسية ليست الوسيلة الوحيدة لإجبار الناس على اتباع الإرشادات المفيدة....

تُرى هل تكون حكومات «الصابون» أكثر شمولية في مابعد عصر كورونا؟ هل يكون تكميم الوسائل الإعلامية أشد صرامة في المستقبل؟ وقد رأينا حكومة الهند طالبت المحكمة العليا بإصدار تعليمات تقيد الوسائل الإعلامية بحصر أخبارها في ما تُوزع وزارة الإعلام من النشرات الرسمية فقط.

إن لكل كارثة إيجابيات كما لها سلبيات، لا سلبيات في العالم بدون إيجابيات ولا إيجابيات بدون سلبيات، حقق كورونا خلال أسبوعين ما عجزت عنه كل اجتهادات البشر، في مجال خفض التلوث كما أشار إليه الرئيس السابق في تونس منصف المرزوقي في إحدى مقالاته نقلا عن صديقه المهندس في شيكاغو أيسلمو ولد دلاهي.

### • الكتاب: الأمراض الوراثية والأوبئة.

• عدد الصفحات: 144

• تأليف: أن. أجيت كومار وبراديب

• كانانكود، اللغة: مالايالام

• سنة النشر: 2020، الناشر: DC Books

• كوتيام، كيرال،

\* مستعرب هندي



مصدر وقود للنظريات المؤامراتية التي يتبناها دعاة معاداة الطب الحديث.

الخزعات والمعتقدات الخرافية هي التي قادت هذا الحاكم أكثر كثيرا من الاختراعات المبنية على التجارب العلمية. يمكننا أن نرى نفس الحالة في تصرفات حاكم الهند نريندرا مودي. وهو أيضا ليس لديه أي مشروع وقائي ناجح لمقاومة هجوم فيروس كورونا غير وسائل تحييلات وخطابات رنانة. بينما تتم الفحوصات الطبية على ٤٤٠٠ شخص من ملايين المرضى في أمريكا، إن نسبة الفحوصات في الهند ٦٦ فقط. وهذا يدل على أن حالة الهند حتى في تشخيص المرض متخلفة جدا. ومعناه أن العدوى إذا انتشرت إلى نطاق واسع في المجتمع فلن تكون هناك سبيل لمقاومتها. يقول الناشطون في مجال الصحة إن العدوى قد تجاوزت إلى الانتشار الجماعي في بعض المناطق. فلذلك ستكون الأيام القادمة حاسمة. أولويات حكومة مودي في مقاومة كورونا نراها مركزة على ما يوجد في الأساطير الهندية القديمة، الجانب الكوميدي كان واضحا أمام العالم حين أهاب بالناس لضرب الصحون وإضاءة مصابيح كاز بعد إطفاء المصابيح الكهربائية لمطاردة فيروس كورونا عودا من عصر الكهرباء إلى عصر الكاز. عمل أتباع حزبه احتفالا حيث تظاهروا في الشوارع العامة بمخالفة الحجز المنزلي وحظر التجول. الحالة الاقتصادية في البلاد كانت قد بدأت تنهار قبل الكوفيد ١٩، وقد زاد الطين بلة. وما خفي قد يكون أعظم. وإليه يشير قرار مجلس الوزراء المركزي بخضم ٣٠٪ من رواتب رئيس الدولة ورئيس الوزراء وأعضاء البرلمان وخضم المبالغ المخصصة لمشاريع التنمية.

وهناك عدة تحليلات عن آفاق ما بعد كورونا وما يترك وراءه من حطام وركام. ويلاحظ هنا ما كتب المفكر والمؤرخ الإسرائيلي «يوفال نوح هراري» في صحيفة «الفايننشال

الكتاب تحليلات شاملة عن آثار جائحة كوفيد ١٩ على الأبعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومن نافذة القول إن هذه الجوانب أيضا تستحق الذكر. ماذا كان موقف الدول الكبرى من مكافحة جائحة كوفيد ١٩ لو اتخذت موقفا صارما في البداية لما انتشر الوباء بهذه السرعة الفائقة. أمام توسع انتشار وباء كوفيد ١٩ في أنحاء العالم وجدت الحكومات والمنظمات الإنسانية نفسها في سباق محموم من أجل الحصول على معدات طبية وأدوات وقائية، لكن الانتقادات توجه للولايات المتحدة التي يوجد فيها أكبر عدد إصابات بالمرض، بأنها لم تحترم قوانين اللعبة. اتهمت السلطات المختصة في ألمانيا وفرنسا، بتحويل وجهه معدات طبية مخصصة في الأصل لبلديهما، وذلك بالمزايدة على المشتريين الأصليين.

أقرت رئيسة المفوضية الأوروبية أورسلا فون دير لاين بأن المسؤولين السياسيين قللوا من أهمية حجم الخطر الذي يبيئه وباء كورونا المستجد. وقالت: أعتقد أننا جميعا، ونحن لسنا خبراء، ما أخذنا الأمر بجدية في البداية. ولكن تبين فيما بعد أن الفيروس يشغل بالنا لفترة طويلة حيث تُعتبر أوروبا بؤرة الأزمة». الباحثون الطبيون في جامعة Imperial college بلندن كانوا قد حذروا الولايات المتحدة من سرعة انتشار فيروس كورونا في ٦ مارس. حذر أولئك العلماء أنه في حالة عدم اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة فورا سيصاب أكثر من ٨١٪ نسمة بالمرض، كانت ثمة تقارير دراسات تفيد بأن عدد الموتى قد يبلغ مليوناً. ولكن ماذا كان موقف الرئيس ترامب؟ كان يعرض عن كل هذه الإنذارات في المرحلة الأولى. ولقصور إدارة ترامب وعشوائية قراراتها بدءا بالاستهتار بالوباء وإنكار تفشيه دور كبير فيما وصلت إليه أمريكا الآن. رفض تحذيرات الخبراء بإزدراء متسائلا هل تم إغلاق الحياة حين مات ٣٧٠٠٠ شخص في العام الماضي بإصابة مرض الانفلونزا؟ فلم يخجل أن يعلن أمام الوسائل الإعلامية أن الفيروس الصيني أيضا سينتهي حتما كما انتهت الإنفلونزا من قبل. عند هذا الإعلان كانت الإصابات المؤكدة أقل من ٣٠٠ كما كان عدد الموتى ١١ فقط. ولكن بعد ثلاثة أسابيع انقلبت الأمور رأسا على عقب. غدت أمريكا أكثر المصابين بمرض كورونا في العالم. وهذه القوة العظمى الاقتصادية في العالم اضطرت الآن لأن تمد يدها إلى عدوها الصين حتى الهند للمساعدة. تحتاج أمريكا إلى أكثر من ١٧٠٠٠ جهاز للتنفس الاصطناعي. غطرسة الرئيس ترامب بإهماله تحذيرات الجهات المختصة عن وخيمة كوفيد ١٩ كانت السبب الرئيس الذي أوصل أمريكا إلى هذه الحالة الأسوية. وليس لدى الرئيس الأمريكي أي مشروع لاستئصال فيروس كورونا بعد إجراء الفحوصات الطبية اللازمة على ملايين المرضى. بداية لم يلتفت إلى تعليمات منظمة الصحة العالمية، وكان شاكيا في نتائج التجارب الطبية في أمريكا، فلا عجب فيه، لأن مواقفه كانت دائما



## كل شيء يتغير على الدوام.. آفاق الترجمة الأدبية مجموعة مؤلفين

عبدالرحمن السليمان \*

هذا الكتاب مرجع لا غنى عنه في الترجمة الأدبية التي كانت وما زالت أهم نوع من أنواع الترجمة لأنها الجسر الذي يربط بين الثقافات المختلفة عبر العصور. إنه مرجع مهم لطالب الترجمة وللمترجم المحترف على السواء، ذلك لأنه يعالج أهم مظاهر الترجمة الأدبية في دراسات حررها خبراء في الترجمة الأدبية يجمعون بين التكوين الأكاديمي الرصين والخبرات المهنية الواسعة. انتدب هؤلاء الأكاديميين والخبراء لتحرير هذا الكتاب المرجعي في الترجمة الأدبية «مركز الخبرة للترجمة الأدبية»، وهو شراكة بين مجمع اللغة الهولندية، وجامعة لوفان في بلجيكا، وجامعة أوتريخت في هولندا، والصندوق الفلمنكي للآداب في بلجيكا، والصندوق الهولندي للآداب. فجاء الكتاب بمثابة الدليل العلمي والعملية والمهني للترجمة الأدبية، ومرجعاً يصلح للتدريس في الجامعات والمعاهد وللدراسة الذاتية أيضاً.

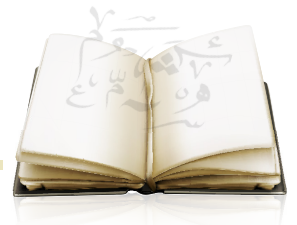
مراحلها الأولى كانت ترجمة وظائفية، إلا أنها سرعان ما توسعت لتشمل الأدب (الملاحم والشعر). ثم أصبحت الترجمة أداة التواصل في زمن العولمة الأولى، عندما بدأ الاتصال والتواصل بين حضارات الرافدين وسورية ومصر وحوض البحر الأبيض المتوسط، وتطورت من الوظائفية البحثية (ترجمة الرسائل والعقود والتعليمات إلخ) إلى ترجمة الأدب، شعراً ونثراً وملاحم. ونقتصر في حديثنا هنا على ترجمة النص الديني بعد صيرورة الآرامية لغة التواصل في الشرق القديم في القرن الخامس قبل الميلاد. فقد ترجم مجهولون أسفار العهد القديم من العبرية والآرامية إلى اليونانية (الترجمة السبعينية) في القرن الثالث قبل الميلاد، ثم ترجم القديس جيروم العهدين القديم والجديد من العبرية والآرامية واليونانية إلى اللاتينية (ترجمة الفولغاتا) في القرن الرابع الميلادي. يجعل الكثيرون من المنظرين بداية الترجمة عند القديس جيروم، وهذا غير دقيق لأنه يختزل كل التقاليد الراهبانية والمصرية القديمة وحتى اليونانية واللاتينية في إشارات عابرة لا شيء إلا لطغيان النص الديني اليهودي المسيحي وأهمية ترجمته إلى اللاتينية أولاً (الفولغاتا)، ثم إلى اللغات المحلية التي أصبحت مهمة ابتداءً من القرن الخامس عشر (ترجمة ماتن لوثر الألمانية، ترجمة الملك جيمس الإنكليزية، الترجمة الهولندية الفيدرالية وغيرها). ومن نافذة القول التذكير بأن هذه الترجمات إلى اللغات المحلية هي التي وحدت هذه اللغات المحلية وأوجدت فيها سجلاً خطابياً أدبياً قلده الكتاب والشعراء فنشأت تلك اللغات وتطورت إلى ما نعرفها اليوم. فالترجمة الأدبية هنا - وإن كانت مقتصرة على النص الديني - كانت عاملاً حاسماً في تكوين لغات وهويات وطنية ثم حدود رسمية ودول عصرية تأسس العنصر الموحد لها على اللغة أكثر مما تأسس على الدين (كالقومية الإيرلندية) أو العرق (كالقومية الألمانية في العهد النازي).

يركز الكتاب في عدة دراسات على الخبرات التراكمية في الترجمة، وينطلق من التنقيص على «المهارات المطلوبة» ابتداءً من «المعرفة الأساسية المتمثلة بإتقان لغتين اثنتين على الأقل للترجمة منهما وإليهما»، ثم «إنشاء مقابلة تمكن المترجم من ممارسة عمله بطريقة قانونية» بعد اكتسابه صفة اعتبارية

في التاريخ هم الأكاديون الذين اضطروا إلى ترجمة بعض المصطلحات السومرية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكتابة المسمارية التي اخترعها السومريون، فترجموها إلى لغتهم الأكادية. فالتواصل الأكادي السومري هو أقدم تواصل لغوي في تاريخ التدوين الانساني، ذلك أن السومرية أقدم لغة بشرية دُوّنت (حوالي ٣٢٠٠ قبل الميلاد)، وأن الأكاديين أزاحوا السومريين عن سدة الحكم في بلاد الرافدين (حوالي ٢٩٠٠ قبل الميلاد) وحلوا محلهم في حكم بلاد الرافدين وبنوا فيها دولتهم الأكادية البابلية. وبما أن السومريين هم الذين اخترعوا الكتابة المسمارية، أقدم كتابة في التاريخ المعروف، وأول من وضع أساسيات علوم الإدارة والسياسية، فقد أخذ عنهم الأكاديون ذلك عندما أزاحهم عن سدة الحكم وحلوا محلهم، مما اضطرتهم إلى ترجمة علومهم ومعارفهم ومصطلحات حضارتهم. وقد حفظ الدهر لنا من أوابد الأكاديين ألوأحا تحتوي على مسارد لغوية باللغتين السومرية والأكادية هي أقدم ما أُلّف في هذا المجال. وهكذا نرى أن علم الترجمة ولد مع أقدم حضارتين نشأتا في الشرق، وأن علم صناعة المعجم ولد مع علم الترجمة وظلّ يلازمه حتى اليوم. لقد سمى البابليون الشخص الذي يقوم بالترجمة: (تَرْجُمان)، والآراميون (تَرْجُمان؛ تَرْجُماناً، والألف في نهاية الكلمة للتعريف)، والسرّيان تَرْجُموناً والألف في نهاية الكلمة للتعريف)، واليهود (تَرْجُمان؛ تَرْجُمان)، والعرب (ترجمان). وعن العرب أخذ اليونان هذه الكلمة لتصبح في لغتهم: (Δραγουμάνος). ثم انتقلت الكلمة من اليونانية إلى جميع اللغات الحديثة الأوروبية ومنها الإنكليزية (Dragoman) والفرنسية (Drogman). وبما أن المعنى الأصلي لـ (ترجمان) في اللغات الجزيرية (= السامية) هو التفسير، تفسير الكلام المبهم، أي أن (الترجمان) هو الشخص الذي يفسّر الكلام غير الواضح ويشرحه بلغة واضحة لأهلها، فقد ترجم الغربيون هذا المعنى إلى لغاتهم فحصلوا على interpreter/interpretation في الإنكليزية وinterprète/interprétation في الفرنسية، مع الإشارة إلى أن المقصود بهذه الأخيرة المترجم الشفوي ولكنها تنطبق دلاليًا على المترجم التحريري أيضاً. وعلى الرغم من أن الترجمة بين السومرية والبابلية في

يتألف الكتاب من مقدمة وأربعة أجزاء تحتوي على ثلاثة وعشرين فصلاً حرر كل فصل منها خبير في الترجمة. عُنون الجزء الأول من الكتاب بـ «المهارات المطلوبة»، والجزء الثاني بـ «المفاهيم الأساسية»، والجزء الثالث بـ «التركيز على الأنواع الأدبية» والجزء الرابع بـ «ما بعد الترجمة». استهل الكتاب محرراه وهما ليفين دي هولست، الأستاذ البارز في جامعة لوفان في بلجيكا، وكريس فان دي بُول، المترجم الأدبية القديرة والأستاذة المساعدة في الجامعة نفسها، بمقدمة أضاء فيها مشروع الكتاب ومضمونه. وصرحاً بأن «علم الترجمة النظري، وعلم الترجمة التطبيقي، والعلم التجريبي المكتسب من ممارسة الترجمة، ثلاثة مظاهر من مظاهر الترجمة تتداخل مع بعضها وتكمل بعضها بحيث لا يدعي أحد أنه يملك وحده علم الترجمة بمجمله». لذلك تشكل هذه المظاهر الثلاثة «الخط الرفيع الذي يربط أول الكتاب بأخره». بكلام آخر: يربط هذا الكتاب العلم النظري بالعلم التطبيقي بصناعة الترجمة بخط عريض إن صح التعبير، ويتوقف عند القواعد النظرية والمهارات اللغوية والمعرفة التطبيقية ويتأمل في التجارب العملية المكتسبة من ممارسة الترجمة. وهذه الأخيرة، أي التجارب المكتسبة من ممارسة الترجمة، ذات أهمية كبيرة، لأن الجامعات البحثية في العالم المتقدم معرفياً تعبر المقاربة البحثية «من أسفل لأعلى» (bottom-up approach) ذات الأهمية التي تعبرها للمقاربة البحثية «من أعلى لأسفل» (Top-down approach). فإذا كان الباحث ينطلق، في المقاربة الأخيرة، من نموذج نظري يسقطه على مسألة ما بهدف تحليلها وحل إشكالياتها، فإن مقاربة «من أسفل لأعلى» تنطلق من المسألة ذاتها ثم تسقط عليها تجربة الباحث وتبحث لها - في العلم النظري - على ما يفسرها علمياً، وإلا فيضع لها الباحث إطاراً نظرياً جديداً يكون بمثابة الإضافة إلى العلم النظري الموجود. وهذا ما يجعل أهمية «علم الترجمة التطبيقي» وكذلك «العلم التجريبي المكتسب من ممارسة الترجمة» في غاية الأهمية، لأنهما «رديفان مهمان لعلم الترجمة النظري».

إن الترجمة علم تراكمت فيه خبرة خمسة آلاف من العمل على الأقل. فقد بدأت حركة الترجمة في العراق القديم بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد. وأول من مارس مهنة الترجمة



عبر ثلاث مراحل: (أ) مرحلة نقل العناصر اللغوية للنص؛ و(ب) مرحلة نقل العناصر الثقافية الظاهرة والضمنية للنص؛ و(ج) مرحلة نقل الوقع، وهو الأثر الجمالي الذي يحدثه النص الأدبي الأصلي على متلقيه في لغته، في الترجمة بحيث يحدث هذا الأثر الجمالي الوقع ذاته على متلقي الترجمة. وهذه الأخيرة أصعب مرحلة في الترجمة الأدبية.

يوصف الجزء الثالث من الكتاب المعنون بـ «التركيز على الأنواع الأدبية»، الأنواع الأدبية المختلفة كالنثر والشعر والمسرحيات والنصوص الفلسفية والروايات التاريخية وأدب الطفل. ولعل التحدي الأكبر في الترجمة الأدبية هو ترجمة الشعر. يقدم الكاتب أونوك وستري في مقالة

بعنوان يبدو غريباً: «تجاوز القواعد: ترجمة الشعر» بين يدي مقالته بمقولة شهيرة للشاعر الأمريكي روبرت فروست (١٨٧٤-١٩٦٣) هي: «إن الشعر هو ما يضع عند ترجمة الشعر» يريد: من الصعب أو من شبه المستحيل أن ينقل المترجم الشعر بإيقاعه ووقعه وتماهي لفظه بمعناه وتداخل ذلك كله كما هو إلى لغة أخرى. لذلك يضع الشعر عند ترجمته، ويصعب بل يستحيل نقل وقعه الذي يحدثه عند متلقيه بلغته، إلى متلقي الترجمة. لذلك يعتبر معظم المترجمين ترجماتهم الشعرية مجرد عرض ذاتي للنص الأصلي باللغة الهدف، وليس ترجمة له ترقى إلى مستوى التكافؤ الذي ينشده المترجم عند محاولته ترجمة أي نص أدبي جيد.

ثم يعرض الجزء الرابع الموسوم بـ «ما بعد الترجمة» للأنشطة التي لا ينبغي على المترجم الأدبي المحترف والناجح أن يهملها وهي: «المراجعة الذاتية» أو التقييم الشخصي للترجمة قبل عرضها على مراجع خارجي؛ و«الحكم على الترجمة» بعد مراجعتها، و«التعاطي بإيجابية مع الترويج للعمل المترجم بما في ذلك عرضه على النقاد لكتابة مراجعة له تنشر في مجلات رائجة، وكذلك ترشيحه لنيل الجوائز المخصصة للترجمات الجيدة». الكتاب مادة غنية للمترجم الأدبي، وقمين بالترجمة إلى اللغة العربية لشح الموارد العربية التي تعالج هذا الموضوع.

• الكتاب: كل شيء يتغير على الدوام. آفاق

الترجمة الأدبية

• الكاتب: مجموعة كتاب

• المحرران: ليفين دي هولست (Lieven)

• وكريس فان دي بول (Chris)

(Van de Poel)

• الناشر: دار نشر جامعة لوفان - بلجيكا

• اللغة: الهولندية

• عدد الصفحات: 276 صفحة

• سنة النشر: 2019

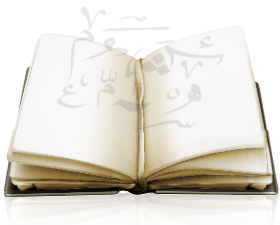
\* أستاذ الترجمة في جامعة لوفان  
في بلجيكا



- إلى فهم معاني القرآن الكريم فقط، ولا يمكن - في المنظور الإسلامي - أن تكون مكافئة للأصل وأن يُعَبَّدَ بها بدلاً من الأصل العربي. أما في المسار النظري، خصوصاً في مجال دراسات الترجمة اللغوية، فإن مفهوم التكافؤ يعتبر مُشكلاً بل مستحيلاً عندما يتعلق الأمر بالشعر أو بالنثر الفني ذي المسحة الشاعرية، كما يرى منظر الترجمة رومان جاكوبسون. لذلك لم يذكر المعيار الأوربي (Petra-E Framework) في تنظيمه لعمل المترجمين الأدبيين مفهوم التكافؤ بل استعاض عنه بمفهوم جديد هو «نقل مناسب» للنص الأصلي. ويرى الكاتب أن هذا المصطلح الجديد «مجرد مرادف لمفهوم التكافؤ». ثم يلخص الكاتب أنواع التكافؤ في محاولة لتفكيك النظرة المزدوجة إلى مفهوم التكافؤ ويميز بين «التكافؤ اللفظي» الناتج عن الترجمة كلمة بكلمة، وهذه أشد أنواع الترجمة حرفية، سواء أفهم النص أم لا. وكذلك «التكافؤ المعجمي» ويقصد به ترجمة الكلمة في اللغة (أ) بما يقابلها معجمياً في اللغة (ب)، أي ترجمتها ترجمة حرفية طالما كان ذلك ممكناً. وكذلك بين «التكافؤ الوظيفي» بأن يترجم المترجم مصطلحاً قانونياً أو إدارياً أو رسمياً في لغة قانونية أو إدارية أو رسمية ما بما يكافئه وظيفياً من مصطلح قانوني أو إداري أو رسمي في لغة قانونية أو إدارية أو رسمية أخرى. وكذلك «التكافؤ الديناميكي»، ويراد منه أن تترجم معاني عبارات النص المراد ترجمته بما يقابلها من معانٍ في اللغة المنقول إليها، سواء أتكافأت الألفاظ معجمياً أم لم تتكافأ، مع التركيز على القيمة التواصلية للنص، وليس القيمة اللغوية أو التركيبية فقط. وتنسب مقارنة التكافؤ الديناميكي هذه إلى منظر الترجمة أوجين نايدا. ولكننا نجد هذا التنظير عند الجاحظ (توفي سنة ٨٦٩ ميلادية) وعند الصلاح الصفدي (القرن الثالث عشر الميلادي)، حيث يرى هذا الأخير أن طريقة حنين بن إسحاق في الترجمة تتمثل في أن «يأتي الجملة ويحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت ألفاظها أم خالفتها». وهذا هو جوهر التكافؤ الديناميكي الذي يقتضي أن تمر عملية ترجمة النص الأدبي

«تمكنه من التعاقد مع دور النشر والتعامل مع حقوق المؤلف والملكية الفكرية بطريقة مسؤولة». يتوقف الكتاب هنا عند البحث عن «فرص اقتصادية» للمترجم الأدبي «المتمثلة في البحث عن الدعم المالي من صناديق الدعم الوطنية التي تخصصها الدول لنشر الآداب»، أدابها بترجمتها إلى اللغات الأخرى، وأدب الأمم الأخرى بترجمتها إلى لغتها. ثم تتوقف محررة الكتاب كريس فان دي بول في دراسة بعنوان «المعرفة والمهارة الأساسية» عند المعيار الأوربي (Petra-E Framework) الذي ينظم عمل المترجمين الأدبيين في الاتحاد الأوربي «والذي يقدم حزمة من المعارف والمهارات والسلوكيات التي ينبغي على المترجم الأدبي أن يتسلح بها لكي يصبح مترجماً أدبياً مؤهلاً». تتكون هذه الحزمة من ثماني كفاءات فرعية تحدد تأهيل المترجم الأدبي هي: «الكفاءة اللغوية وكفاءة النقل والكفاءة النصية والكفاءة التفسيرية والكفاءة الأدبية والثقافية والكفاءة المهنية والكفاءة التقييمية والكفاءة البحثية». ويحتوي المعيار الأوربي المرجعي المذكور على توصيفات دقيقة لهذه الكفاءات الفرعية. كما تحتوي حزمة الكفاءات الأوربية المعيارية هذه على «خط تعليمي عمودي يتدرج من مبتدئ إلى متطور إلى محترف مبتدئ فمحترف وأخيراً خبير». وتنص تلك التوصيفات على «المهارات التي ينبغي أن يتمتع بها كل واحد من هذه الأصناف الخمسة، من المبتدئ حتى الخبير، بدقة، كما تذكر ما يجب أن يتقن الواحد منهم بالتفصيل». كما يتوقف كتاب هذا الفصل عند مهارات أخرى لا بد للمترجم من التحلي بها مثل «مهارة استعمال المصادر وكيفية قراءة النص المراد ترجمته إلى لغة أخرى والعلاقة بين الكاتب والمترجم والترجمة ضمن فريق ثنائي» أي شراكة مع مترجم آخر. تتطلب كل مهارة من هذه المهارات كفاءة مخصصة بها.

ثم يطرح الكتاب في الفصل الثاني المفاهيم الأساسية في عملية الترجمة، حيث يتوقف الأستاذ هنري بلومين في دراسة مفصلة عند مفهوم «التكافؤ» في الترجمة، وهو مفهوم يشغل بال المترجمين منذ عهد الرافدينيين حتى اليوم، لأن عملية الترجمة - في جميع مراحلها - مؤسسة عليه. يستهل الكاتب مقالته بالتقرير بأن مفهوم التكافؤ هو المفهوم الأكثر مركزية وفي الوقت نفسه المفهوم الأكثر عرضة للجدل عند التأمل العلمي والحديث عن الترجمة». ولفهم هذا التناقض لا بد من التمييز بين «التكافؤ من حيث هو معيار في عملية الترجمة التطبيقية، وبين التكافؤ من حيث هو مفهوم في دراسات الترجمة النظرية». ولهذا المفهوم في كل من الحالتين: حالة ممارسة الترجمة وحالة البحث العلمي فيها، مسار مختلف يؤدي إلى نتائج مختلفة. ففي مسار ممارسة الترجمة يعتبر مفهوم التكافؤ المعيار الذي يسيّر عملية الترجمة» ويتحكم فيها. وقد بدأ هذا التقليد في الغرب عند ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الغربية الحديثة، فكان يُتَوَقَّع أن تكون الترجمة، ترجمة الكتاب المقدس من العبرية والآرامية واليونانية إلى اللاتينية واللغات الغربية، «مكافئة كلياً للأصل» المقدس بحيث تكتسب الترجمة القداسة ذاتها التي للأصل، فيتعبد بها في الكنائس. وهذا مفهوم مختلف كلياً عن مفهوم المسلمين لترجمة القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة، ذلك أن ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة تهدف - على سبيل المقارنة



## كيف أصبحنا عبارة عن بيانات كولين كوبمان

وليد العبري \*

يعمل كولين كوبمان في قسم الفلسفة بجامعة أوريغون، حيث يشغل أيضا منصب مدير الإعلام والثقافة الجديدة. قام بتأليف كتابين سابقين، الكتاب الأول هو علم الأنساب في النقد (٢٠١٣م)، أما الكتاب الثاني هو البراغماتية (٢٠٠٩م)، يتوجه هذا الكتاب إلى مشكلة نشعر جميعنا تقريبا بقوتها، ونميل أيضا إلى الشعور بالحيرة حولها. بالنسبة لي، هذه الأنواع من التوترات، هي حيث يمكن أن تكون الفلسفة في أفضل حالاتها. المشكلة المحددة التي يركز عليها الكتاب تتعلق بسياسات وأخلاقيات البيانات. نجد أنفسنا غارقين اليوم في أسئلة لا تعد ولا تحصى، تنبع من انتشار تقنيات البيانات عبر جوانب متعددة، وربما حتى تشمل جميع حياتنا. تتعلق هذه الأسئلة بقضايا المراقبة الجماعية من قبل الجهات الحكومية، وتجار الشركات، إلى البلطجة الإلكترونية، إلى الحضارة الاجتماعية لنشر المعلومات الخاطئة، إلى التحيزات الخوارزمية المضمنة في التقنيات المحايدة المزعومة، التي يتم استخدامها لاتخاذ قرارات حاسمة حول حياتنا وأفاق حياتنا. هناك حاجة ملحة متزايدة حول كل هذه القضايا. ومع ذلك، فمع تزايد المشاكل، يبدو أننا ننحسر من أفق الإجابات المعقولة التي يمكننا العمل معها. هذا مقلق فعلاً. أعتقد أن الفلسفة المستنيرة من المشاركة الغنية بالتاريخ، يمكن أن تكون مفيدة بعض الشيء.

إنتاجه» كموضوع للبيانات - وهو شكل من أشكال الذاتية يتم تمكينه من خلال تقنيات التنسيق ويتم تشكيله من خلال عمليات التثبيت.

إنها لحظة، قبل أن تصبح المعلومات سمة «عالمية» في حياتنا، شيء يتخلف بشكل متزايد، وضمن كل ما نحلم به، وكل ما نقوم به في الواقع. في الواقع، فإن الغرض الرئيسي من علم الأنساب الخاص به، هو إظهار كيف أصبحت المعلومات «عالمية تاريخية» في مجتمعنا وثقافتنا.

يتبع علم الأنساب ثلاثة تواريخ من المعلومات، يتميز كل واحد منها عن الآخر، وكل تاريخ من هذه التواريخ معني بالأشكال الجديدة للهوية، التي تتكون معا من شخص إعلامي: الهوية الوثائقية والهوية النفسية والهوية العرقية. ومن خلال كل تاريخ من هذه التواريخ، يُظهر كوبمان كيف تكون المعلومات سياسية على مستوى التنسيق والتصميم، على الرغم من تقديمها على أنها إنجاز فني خال من التحيز أو الحكم التقييمي. تُركز مناقشة كوبمان حول الهوية الوثائقية على المحاولة الناجحة في الولايات المتحدة، لجعل تسجيل المواليد عالمياً. بدأ هذا المشروع في عام ١٩٠٣ من قبل مكتب الإحصاء، وتم الانتهاء منه حوالي عام ١٩٣٥، بمساعدة مكتب الأطفال والرابطة الأمريكية لصحة الطفل. يحدد ثلاثة دوافع واضحة لهذا الالتزام: الرغبة في تتبع حركة الأفراد، وإدارة الصحة العامة بشكل أكثر فعالية، وحماية الحقوق القانونية للأفراد والمجتمع. كما يعترف كوبمان، أنه قد يبدو أن هذه المجموعة من المخاوف؛ تفسح المجال للتحليل من حيث القوة البيولوجية أو السلطة السيادية. في حين أن هذه الأشكال من السلطة تعمل بالتأكيد هنا، يصير كوبمان على أن إنفوبيور تعمل أيضا كطبقة مميزة من القوة التي عملت على تنسيق الأشخاص، وتمكين مشاركتهم في بنية تحتية إعلامية ناشئة. وتعتبر شهادة الميلاد هي أول وثيقة تربط الشخص المعلوماتي ب «نقاط بيانات محددة يمكن أن تتراكم حولها الحياة». في حين أن بعض «نقاط البيانات» مثل «السباق المنسوب» متورطة بشكل أوضح في «الاضطهاد الدائم»، فإن شهادات الميلاد تخدم وظيفة أكثر عمومية في ربطنا بتجميع

منذ ولادتهم في فئات هوية مختلفة تتطلبها أشكال فارغة (على كل من الوثائق البيروقراطية ووسائل التواصل الاجتماعي مظهر).

كما تحدث عن عصر سياسة المعلومات، إذ يهدف إلى التقاط فكرة أننا اليوم عرضة لسياسة إعلامية مميزة، أي أمام مجموعة من الأسئلة السياسية والأخلاقية، التي تكون داخلية للمعلومات وغير قابلة للاختزال لفئات سياسية مألوفة. لدعم هذه الحجة الأولى، يدعي كولين كوبمان أن الشخصية الفريدة لقوة المعلومات مرتبطة بلحظة تاريخية محددة للغاية، وأن وضعها كمحل مميز للسلطة لا يمكن الكشف عنه، إلا من خلال علم الأنساب للشخص الإعلامي.

وبالتالي، تم تخصيص الجزء الأول من الكتاب لإظهار كيف ظهرت قوة المعلومات كظاهرة محددة تاريخياً. يبدأ علم الأنساب لكوبمان في العقود الأولى من القرن العشرين، وهي اللحظة التي «بدأت فيها المعلومات تسبق الشخص» وأصبح «من الممكن للمعلومات أن ترسم الأشخاص كما لو أنهم من العدم». هذا إذن، نصف حجة الكتاب، أما عن النصف الآخر من حجته هو أن كوننا «رعايا للبيانات» أو «أشخاص إعلاميين» له تاريخ أطول بكثير مما نفترض عادة، نميل إلى التفكير في مشاكل أخلاقيات البيانات وسياسة المعلومات على أنها مستجدات ذات تقنية عالية. نزع هنا أن مشاكلنا المعاصرة ليست إلا تنويعاً لمفاهيم الذات، التي تم تشكيلها منذ مائة عام. أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي والمراقبة الجماعية ممكنة فقط بعد أن بدأ الجميع بالفعل في التفكير في أنفسهم، ويعيشون حياتهم، كأرقام، ونقاط بيانات منفصلة، ونتائج متوقعة للتقييمات الخوارزمية. بالنسبة لكوبمان، «التثبيت» هو تشغيل القوة التي تعمل على «ربطنا» و «تسريعنا»، بحيث إنه يسمح لكلا العنيتين بالتراكم طوال الكتاب، ويتضح أن كل تأثير يعمل على تكثيف الآخر. وكلما ارتبطنا ببياناتنا بشكل أكثر إحكاماً، زادت سرعة مضاعفة البيانات، وأصبح من السهل علينا التنقل عبر البنية التحتية سريعة التوسع التي أنشأتها المعلومات. وبهذه الطريقة، فإن كونك شخصاً إعلامياً يجب أن يتم «تسجيله ومعالجته وإعادة

لقد انغمس الكاتب منذ فترة طويلة في تكنولوجيا المعلومات، منذ أن كان صغيراً، لذلك استطاع الاحتكاك بالتحول التكنولوجي. أحد أسباب كتابته هذا الكتاب، هو أن يكون لحظة استيقاظ بالنسبة للكثيرين حول بعض القضايا، ومن القضايا التي كانت تؤرقه، قضية سنودن «الذي كشف وثائق عالية السرية». إن عواقب ما كشف عنه سنودن تجعل المشكلة مؤثرة في صميم كتابه. كل من سمع عن هذه المراقبة السرية واسعة النطاق، جعله يشعر برودة فعل بقلق شديد. ومع ذلك، فإن الفزع الذي شعرنا به جميعاً في البداية، تضاعف في نهاية المطاف إلى مشاعر اليأس، ثم اللامبالاة، ثم (للبيعض) السخرية الذكية. لماذا استسلم الناس؟ ليس لأنهم لا يهتمون بأضرار المراقبة الرقمية على نطاق واسع، بل لأننا لا نعرف كيف نتصور هذه الأعباء، ولذا فإننا في حيرة حول كيفية تقييم هذا الحصاد غير المسبوق للبيانات، وما الذي يجب القيام به حيال ذلك الأمر.

يعلم الجميع أن البيانات الضخمة أصبحت قضية سياسية مهمة، لكن القليل منا سيكون قادراً على فهم الادعاء بأن البيانات سياسية بطبيعتها. إذا كانت البيانات سياسية، يمكن للمرء أن يفترض أن هذا له علاقة أكبر بما تستطيع بعض الجهات الفاعلة - الحكومات والشركات والمتسللون - الآن القيام به مع البيانات من البيانات الفعلية نفسها. في كتاب «كيف أصبحنا عبارة عن بيانات: علم الأنساب للشخص الإعلامي»، يجادل كولين كوبمان بأن البيانات ليست سياسية بطبيعتها فحسب، ولكن هناك شعور عميق تم فيه إعادة تشكيل ذاتيتنا من خلال البيانات. في الواقع، يدعي أننا أصبحنا بياناتنا.

حجة كولين كوبمان في هذا الكتاب، أنه كيف أصبحنا عبارة عن بيانات، حيث قدم حفريات فلسفية تاريخية لحياتنا المعاصرة للذاتية المدفوعة بالبيانات. إذ إننا نجد أنفسنا في لحظة متشابهين بشكل لا ينفصم في تقنيات البيانات. على هذا النحو، تشكل تنسيقات البيانات الآن تضاريس يتم من خلالها توزيع الأعباء والمزايا الاجتماعية. على سبيل المثال، نجد أنفسنا في عالم من الممكن أن يُعاني فيه الأشخاص من الأضرار المدمرة حقاً لغزو خصوصية البيانات، أو حيث يتم تسجيل الأشخاص



في حين أن حساب كوبمان الإجمالي للسياسة الغير الملزمة أمر مقنع، فإن ادعاءه بأننا نعيش تحت «نظام معلوماتي» هو أكثر إثارة للجدل. وفقا لكوبمان، حولت نظرية البيانات هذه المعلومات، إلى وضع هائل للعقلانية، والذي يتم من خلاله إتاحة مجالات المعرفة بالكامل. في هذا الرأي، نحن مدينون لـ «نظرية المعرفة»، التي تتعامل مع المعلومات على أنها «مقدمة كافية للحصول على معلومات أخرى»، والتي بموجبها الحاجة إلى المزيد والمزيد من البيانات هي تضخ البيانات نفسها. من المعقول أن نقول إن قوة المعلومات تتميز بنمط فريد من العقلانية يمنح سلطة معرفية للمعلومات بشكل غير عملي. ومع ذلك، لا يقدم لنا كوبمان الكثير من الأسباب للاعتقاد بأن معرفتنا قد تغيرت على الأقل. بالنسبة لفوكو، فإن المعرفة ليست مجرد طريقة تداول المعرفة وإنتاجها، ولكنها تشير إلى الظروف التاريخية المحتملة التي تحدد وضوح العبارات على أنها ادعاءات الحقيقة.

يجادل كوبمان بأن تقليد نظرية المعلومات الذي افتتحه شانون ووينر، كان في الواقع نظرية اتصال افترضت ببساطة المعلومات كنقطة انطلاق معينة. وهذا يدفع كوبمان إلى التصريح بأن نظرية المعلومات هي في الواقع نظرية اتصال، وأنها بحاجة ماسة إلى متابعة تاريخ المعلومات، إذا أرادت تقديم سرد مرض للعلاقة بين المعلومات والسياسة. وبالمثل، يجادل بأن نظريات الديمقراطية التي طرحها هابرماس وديوي تفترض المعلومات كأساس للتواصل؛ وبالتالي لا يمكنهما مواجهة الدور الوظيفي الذي تلعبه المعلومات في مجتمع ديمقراطي حديث.

في نهاية الكتاب، ينظر كوبمان بإيجاز إلى ما يعنيه تصعيد المقاومة لسياسة المعلومات، إذ يجادل بأن المقاومة ذات المغزى، سوف تتطلب الانتباه إلى المعلومات كمسألة سياسية في حد ذاتها. في حين أنه لا يقدم العديد من الاقتراحات الملموسة لكيفية تنفيذ هذه المقاومة، فإنه يجادل بأنها ستشمل إعادة تنسيق البيانات، وإعادة تصميم التقنيات التي تشكلنا كأشخاص إعلاميين. وهذا بدوره يتطلب منا أن نحص كيف تطورت هذه الأشكال تاريخيا من أجل تشخيص ميزاتنا وعيوبها الطارئة. لذلك، فإن أمله هو أن يكون نوع العمل التاريخي الذي يقوم به في هذا الكتاب بمثابة نقطة انطلاق لـ «مقاومة الاحتلال والتنافس والتحول».

• الكتاب: كيف أصبحنا عبارة عن بيانات

• المؤلف: كولين كوبمان

• دار النشر: مطبعة جامعة شيكاغو،

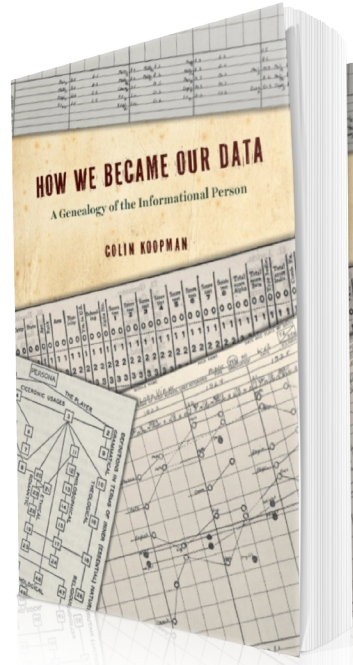
الطبعة الأولى

• سنة النشر: 2019م

• اللغة: اللغة الانجليزية

• عدد الصفحات: 272 صفحة

\* كاتب عُماني



إجراء تحليلات للبيانات، يمكنها ببساطة ودقة، استنتاج عرق الشخص. في حين أن العنصرية كانت تدور في السابق حول «رؤية العرق»، فإن تقنية تنسيق التواريخ المشفرة للاختلاف الظاهري في فئات البيانات التفاضلية، وفي العملية سهلت أشكالاً جديدة من التمييز مثل إعادة الخط.

يعتمد الجزء الثاني من الكتاب، على هذه الرؤى التاريخية لتعزيز روايته الشاملة للسياسات. بالإضافة إلى توضيح مفاهيم مثل «التنسيق» و «التثبيت»، يدافع كوبمان عن فكرة أنه يجب تصنيف قوة البيانات كتحليل متميز للسلطة، في حين أن هناك إغراء واضحا للتفكير في سياسات المعلومات، من حيث القوة التأديبية أو الطاقة الحيوية، يصير كوبمان على أن التجمعات الإعلامية المعاصرة تظهر طريقة من السلطة، التي يجب فهمها وفقا لشروطها الخاصة.

تم تخصيص جزء كبير من الفصل الرابع، للتمييز بين القوى العاملة، ليس فقط من تحليلات السلطة الخاصة بفوكو (التأديبية، السيادية، الحيوية)، ولكن أيضا «قوى البيانات الأخرى»، مثل قوة التحكم، والقوة التفسيرية. باختصار، تعتمد حجة كوبمان على الاقتراح بأن التنسيق؛ هو «تقنية» محددة للسلطة يتم ممارستها من خلال عملية التثبيت. في حين أن هذه العملية مرتبطة بوضوح بطرائق السلطة الأخرى، إلا أنه يؤكد أن هذه التقنية، والعملية المحددة تنتمي إلى طبقة من الطاقة، لا يمكن اختزالها إلى أي طبقة أخرى.

ضد نظريات السلطة المتنافسة في الدراسات الإعلامية، يجادل المؤلف بأنه يجب علينا مقاومة «الطليعية» المنتشرة، التي تتعامل مع سياساتنا الحالية للبيانات، على أنها تظهر فقط مع ظهور وسائل الإعلام الجديدة. وفقا للكاتب، يستند هذا الاعتقاد الخاطئ إلى الفشل في مواجهة النطاق الذي استثمرناه بالمعلومات لأكثر من قرن. في الواقع، تم تأسيس الديناميكيات الأساسية للقوة الداخلية قبل وقت طويل، من إثارة المخاوف بشأن وسائل التواصل الاجتماعي، ومراقبة الدولة.

البيانات، التي تسمح لنا بالتحرك عبر العالم، أرقام الضمان الاجتماعي لدينا، جوازات السفر و رخص القيادة والحسابات المصرفية ورسائل الجامعة، وغيرها الكثير. لذلك، تُعد شهادة الميلاد بمثابة حجر الأساس لاعتمادنا على البيانات، مما يسمح بتحويل حياة الإنسان إلى مصفوفة المعلومات المتزايدة باستمرار.

يستند تحليل كوبمان للهوية النفسية إلى تحقيق في «المعلوماتية للصفات النفسية»، التي استقرت بين عامي ١٩١٧ و ١٩٣٧. كما يتتبع كوبمان ظهور الشخصية كمفهوم في «علم النفس غير الطبيعي» الفرنسي، خلال القرن التاسع عشر، حتى تم إدخاله في علم النفس الأمريكي بقلم وليام جيمس، قبل أن يشرح بالتفصيل كيف أن الرغبة في القياس الموضوعي للسمات الشخصية، رسخت فكرة الشخصية، التي يجب أن نعتبرها من الأهم على دراية اليوم. في الواقع، يؤكد الكاتب أن هناك إحساسا بأنه لم يكن لدينا شخصيات» حتى أصبحنا عبارة عن بيانات. في قراءته، لم تكن هناك طريقة لفهم أنفسنا بعبارات مثل «الانبساط» أو «الانطواء»، قبل دمج هذه الفئات على أساس النتائج التجريبية، التي تم الحصول عليها من خلال الاختبارات الشخصية. وبهذه الطريقة، تم تحديد المصطلحات التي نذكر بها اليوم حول أنفسنا والآخريين من خلال مشروع محدد لتنسيق علم النفس البشري.

أخيرا، يركز كتاب كوبمان للهوية العرقية على ظهور «الخط الأحمر» في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، ممارسة «رفض طلبات قروض الإسكان بناء على الخصائص العرقية لحي العقار». من خلال تقديم العرق كمدخل إعلامي كان محايلا ظاهريا، تمكنت إدارة الإسكان الفيدرالية من ترسيخ شكل جديد من القمع النظامي، من خلال الادعاء بالالتزام بمعايير التقييم الموضوعية. أصبحت هذه الممارسة ممكنة بفضل قرار صناعة العقارات بتضمين التكوين العرقي للأحياء في استمارات التقييم الخاصة بهم. بمجرد أن أصبح هذا المدخل جزءا من طريقة التقييم الموحدة الخاصة بهم، أصبح من الصعب رؤية أن تنسيق العرق لم يكن مجرد متطلبات فنية، بل كان خيارا سياسيا.

لا تدعي معاملة كوبمان في أوائل القرن العشرين أنها شاملة، ولكنها تسعى إلى تسليط الضوء على ثلاث طرق مهمة، تستمر في تشكيلها الذاتي، من خلال لحظات الاستقرار هذه. في هذا الصدد، فإن مناقشة كوبمان حول «الخطوط الحمراء» مثيرة للاهتمام بشكل خاص. إذ يجادل بأن هذه الممارسة تم تسهيلها من خلال «معلوماتية العرق»، التي أعادت صياغة الاختلافات العرقية القديمة كتمييز في البيانات، ووضعت شكلا فريدا من العنصرية التكنولوجية.

بالنسبة إلى كوبمان، فإن هذا النوع من البيانات العرقية «سياسي مضاعف» وهذا يعني، أن هناك بعدا سياسيا للبيانات العرقية يتجاوز الطريقة التي يكون فيها العرق سياسيا بشكل لا يمكن تحمله. مع أخذ ذلك في الاعتبار، يجادل كوبمان بأن الهوية العرقية قد تم اعتمادها جزئيا على الأقل على البيانات، بطريقة تختلف عن الأشكال العنصرية، التي يمكن التعرف عليها بسهولة أكبر. أتاح إجراء التنسيق المحدد هذا، إمكانية



## عندما يعيد الجنوب اختراع العالم: بحث في قوّة الضعف برتران بادي

في كتابه «عندما يعيد الجنوب اختراع العالم: بحث في قوّة الضعف»، يبيّن «برتران بادي» كيف أن الجنوب (أو العالم الثالث)، الذي انبثق إلى حد كبير من إنهاء الاستعمار، يتفاعل مع النظام الدولي الذي دهمته العولمة، ويمسك بزمام الأمور، ويعيد تشكيل هذا النظام الدولي. وفي رأيه، فإن فكرة هامشية الجنوب لم تعد تتوافق البتّة مع الواقع الدولي المعاصر؛ بل إن هذا الجنوب بات يمتلك القدرة على إعادة تشكيل المشهد الدولي بشكل يجعل من الأنماط التي يعتاش عليها أسياذ الشمال (أو العالم الأوّل) نماذج قد تخطّأها الزمن.

الأمم المتحدة) لدخول فاعلين جدد إليها، أو منعهم من الاندماج الكامل فيها.

ففي العام ١٩٥٤ اندلعت المعركة الأولى الحقيقية حول مسألة حق الدول في الحصول على السيادة الكاملة على مواردها الطبيعية؛ فيما تمحورت المعركة الرئيسية الأخرى حول مجلس الأمن، في جلسته العامة لخريف العام ١٩٦٣، حيث كان توسيع المجلس أمراً حتمياً، لأنه في وقت صياغة ميثاقه كان عدد الدول المستقلة في أفريقيا وآسيا محدوداً جداً.

في مرحلة جديدة، يتحدث الباحث عن توتر آخر ارتبط بما سمّاه «الانكفاء» و«الانعزال» اللذين لحظا لدى القوى الكبيرة آنذاك فيقدر ما يسيطر الجنوب على أغلبية أعضاء منظومة الأمم المتحدة، بتنا نرى في الشمال ظهور «أندية» تجمع الأقوياء الذين يمكنهم، بعيداً عن مشاركة «العامة» اتخاذ القرارات الحقيقية بحرية.

وقدم المؤلف مثال «منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية»، ومجموعة الستة - ٦، (وتضم ألمانيا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا واليابان والمملكة المتحدة، وصولاً إلى مجموعة العشرين، والتي ضمت إضافة إلى الدول الصناعية الكبرى وروسيا، الأرجنتين وأستراليا وكندا والهند وإندونيسيا والمسيك وروسيا والسعودية وجنوب إفريقيا وتركيا...).

ومن ثمّ يحلّل المؤلف المصدر الثالث للتوتر بين العالم القديم والعالم الجديد، والذي تتمثل في «الأسس الإيديولوجية للنظام المؤسسي الذي سيمارس في نهاية المطاف سيطرة قوية على عملائه، إلى أن يطبعهم بقيم لم تكن من طبيعتهم؛ أي قيم القوّة في أبعادها الأكثر تسييساً، وقيم الاقتصاد الليبرالي التي طبعت اتفاقية بريتون وودز التي استُبعدت عنها البلدان الاشتراكية».

ويخلص المؤلف إلى أن العالم بات أمام شكل جديد تماماً من ممارسة الهيمنة، لأنها كانت تستند إلى عدم التكافؤ بين السلطة القائمة شكلاً في البلدان المستقلة حديثاً والحكومات المستعمرة، مثل حالة فرنسا والدول التي كانت تستعمرها، والتي تم تقييدها باتفاقيات حدّت من سيادتها على مواردها وقراراتها المستقلة.

### سياسة الضعف

في الفصل الثالث وهو تحت عنوان (سياسة الضعف)، يقول الباحث إن الدول صاحبة السيادة تجد نفسها حتماً في حالة من التنافس المستمر. وهذا التنافس لا يمكن لأي شخص أو أي مؤسسة أن يفصل فيه، بما أن امتلاك السيادة يعني من الامتثال لأي كان.

وفي العمق. وقد حصلت تعبئة اجتماعية مضادة من خلال الإسلام، الذي أصبح في هذا المناخ الاستعماري، السبيل الوحيد لبناء «الغريبة» في وجه أصحاب الهيمنة. ولم يكن هذا الدين يمثل بحد ذاته عامل حرب، بل هو مجرد وسيلة للوجود خارج الشبكة الاستعمارية، وخارج وصاية جيوش الاحتلال وحلفائه المحليين.

كما نشأت تعبئة اجتماعية مضادة فاعلة في جميع أنحاء العالم، أي في الهند وإندونيسيا واليابان، وفي الدول العربية، وغيرها. ولكن، في المحصلة، برز تناقض مؤسسي كبير لعملية تصفية الاستعمار: نتحرر من النظام الاستعماري؛ ولكن من أجل وضع هذا التحرر موضع التطبيق، نقوم بنسخ نموذج دولة المستعمر. ونحن نفعل ذلك من دون قناعة، ومن دون سند تاريخي أو شرعي. ومن هنا المأساة المستمرة لمجتمعات الجنوب، بحسب تعبير برتران بادي.

### كيف يقاوم العالم القديم العالم الجديد؟

في الفصل الثاني (كيف يقاوم العالم القديم العالم الجديد؟) ويشرح المؤلف كيفية مقاومة العالم القديم (القوتان العظيمتان بالخصوص) العالم الجديد، أي الدول الجديدة التي دخلت متعثرة إلى النظام الدولي.

وقد تمّ التعبير عن التوتر الدولي الناشئ عن سوء الفهم هذا على ثلاث جبهات:

أولاً، من خلال إرادة الفاعلين في نظام الثنائية القطبية بعدم التنازل عن أي شيء مع ظهور قوى جديدة، حيث أصبحت الدول المحررة حديثاً من الاستعمار بطريقة ما رهائن لدى القوتين العظيمتين.

ثمّ برز عدم تجاوب المؤسسات الدولية التي وجدت صعوبة كبرى في التكيف مع ظهور هؤلاء الوافدين الجدد.

وأخيراً، نلاحظ التحوّل السريع حكماً، وإنما الخطر جداً، لأنماط الهيمنة التي تعيد القوى القديمة استنساخها قرناً بعد قرن منذ ظهور الدول في عصر النهضة.

وبعد تحليله لنماذج حول كيفية إدماج النظام الدولي للخلاء عليه، مثل مصر عبد الناصر، والذي رفض فكرة «الانحياز»، والاختيار بين واشنطن وموسكو، والحركة الشعبية لتحرير أنغولا، التي لم يمنح خطابها اليساري وعلاقتها الوثيقة مع الاتحاد السوفياتي نسج علاقات ممتازة بينها وبين شركات النفط الأمريكية، يتوقف عند مقاومة المنظمات الدولية (مثل هيئة

ويستطرد الباحث: حتى نهاية الحرب الباردة، كانت المنافسة بين القوى العظمى هي التي تصنع التاريخ. أما اليوم، فإن هذه المنافسة لا تعاني الفشل فحسب، بل إن الضعف الذي هو في أساس معظم النزاعات (من خلال ضعف الدول، والأمم التي انضوت تحت لواء منظومات مؤسسية، أو الروابط الاجتماعية)، هو الذي يحدّد الرهانات الدولية ويُنْتِج معظم الهواجس التي تُلقَى بثقلها على المستقبل.

إن النظام الدولي يتحوّل تحوّلًا لا مناص منه، من دون أن تدرك الدول حجم ما يجري. فهو يستوعب عناصر فاعلة جديدة ويعيد كتابة جدول الأعمال الدولي، وصولاً إلى جعل القضايا الاجتماعية من أهم القضايا المصرية في عصرنا (الديموغرافيا، عدم المساواة، الأمن البشري، الهجرات).

في مقدّمة كتابه، يستنتج المؤلف أن تسمية العالم الثالث لم يعد لها اليوم أي معنى. أولاً، لأنّ الثنائية القطبية لم تعد موجودة؛ وقد أودى انهيارها في طريقه بدعامة الدول، غير الموجودة في الحياة الدولية. ثمّ لأنّ الاختراع المفاهيمي، ومهما كانت دوافعه الحقيقية، أثبت أنه مقبوت، لأننا نصنّف ثلثي البشرية في باب فضلات التاريخ، ونراهن على التجانس الناجم عن ذلك.

### فشل إنهاء الاستعمار

في الفصل الأوّل وهو بعنوان (فشل إنهاء الاستعمار)، يقول الباحث إن الفرصة ضاعت في العام ١٩٤٥، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، بعد فشل إنهاء الاستعمار في الانتقال من نظام «دولي» إلى نظام «عالمي». فإنيها الاستعمار كان يجب أن يوصل إلى عالم يقرّ بالاختلاف، والشمول، والمساواة، ويكون مستعداً لمواجهة التحدي الجديد الذي سيطلق عليه في ما بعد اسم العولمة.

ويعيد الباحث هذا الفشل في إنهاء الاستعمار إلى أخطاء استراتيجية ومصاعب عدّة، أولها ناجم عن الطبيعة العنيفة للاستعمار كما لعملية إنهاء الاستعمار، حيث لازمت ثقافة العنف هذه العملية حتى اليوم.

والصعوبة الثانية تمثلت بالالتباسات المتكررة المرافقة لعملية إنهاء الاستعمار التي لم تكن واضحة أبداً، إذ أنها أنتجت كثيراً من المكابح التي لجمت تطورها.

وارتبطت الصعوبة الثالثة بسلك الفاعلين أنفسهم، أبطال عالم ثالث في طور التشكّل، والذين كانوا قادة تحرير أكثر مما هم بُناة دول.

كان إنهاء الاستعمار عنيماً لأنّ الاستعمار كان قبله كذلك عنيماً



وتحوّل آخر، يشكّل الركن الثالث، ويتمثل بردة فعل «النزعة الخصوصية الجديدة» التي تسعى إلى تحديد فضائها وفرضه، حيث تتراجع الإقليمية السياسية أمام الهجوم المضاد للمحلية، والذي غالباً ما يؤدي إلى تحركات تدعي الحق في الانفصال داخل الأراضي الوطنية.

ويتجسد الركن الرابع في تحلّي الهيمنة والقوة تدريجياً عن الاستقطاب مع فقدان منطق السلطة. فتحت ضغط التحوّلات الآتية من الجنوب، دخلنا في عالم بعيد عن الاستقطاب، لا يختلف عن العالم الذي سبق الحرب الباردة.

ويحدّد الركن الخامس الشروط اللازمة للاختراع الفعلي ل«تعددية الأطراف»، حيث شهدت هذه التعددية صعوداً بطيئاً وخفياً في نهاية القرن التاسع عشر، مع أولى المنظمات الدولية، مثل الاتحاد البريدي العالمي.

فيما يتعلق بالركن السادس أي «الاندماج الاجتماعي الدولي»، وهو أمر كان الأمين العام السابق للأمم المتحدة بطرس بطرس غالي يستشعره بالفعل عندما تحدث عن الظلم الاجتماعي كمسبب رئيس للحروب، قبل أن يدعو الأمين العام اللاحق للأمم المتحدة كوفي في أنان بصراحة إلى قيام تعددية اجتماعية.

والركيزتان الأخيرتان في بناء النظام الدولي الجديد، حسب الكاتب، تنبعان مباشرة من الحاجة الجديدة للحكومة (إدارة المؤسسات). وإحدى هاتين الركيزتين تدعونا إلى التفكير في أشكال جديدة من «الأقلمة»، والتي من شأنها أن تجعل من الممكن الحد من ضغط العولمة، وكذلك من ضغط القوى الاستعمارية القديمة؛ فيما تتولّد الركيزة الأخيرة من إعادة النظر بالدولة وبالمفاهيم التقليدية للسيادة؛ وهي تتمحور حول العودة الحتمية ل«الفاعل المحلي»، ففي مواجهة عولمة تبالغ في طموحاتها ودول تعاني الوهن، تكتسب هذه الركيزة الأخيرة معنى على عدة مستويات.

في الخاتمة، يتحدث المؤلف عن معضلة في العصر الحالي؛ إما أن تهيمن القوة ويكون الضعيف لا شيء، وهو أمر أصبح مستحيلًا؛ وإما أن يمسك الضعيف بخيوط اللعبة ويقود العالم إلى التدهور الحتمي؛ وهو أمر ليس في مصلحة أحد.

وفي رأيه، فإن هذا هو السبب في أن إدارة «العولمة» أصبحت مؤثرة بشكل حاسم، وذلك لناحيتين؛ فهي تسمح من جهة بإعادة تقييم القوة، وتؤدي إلى تحوّلها؛ كما تقود، من جهة أخرى، إلى إدارة الضعف واندماجها الكامل في اللعبة العالمية.

وبعبارة أخرى، إن العولمة تعيد صياغة التاريخ الدولي، وتُرجعه إلى مستوى المجتمعات، وتحد من القوة ومفاعيلها، وتقود إلى تصوّر حوكمة جديدة. إنها تفتح الباب أمام طريقة جديدة لتقييم القدرات.

• الكتاب: «عندما يعيد الجنوب اختراع العالم: بحث في قوّة الضعف»

• تأليف: برتران بادي

• ترجمة: د. جان ماجد جبّور

• الناشر: مؤسسة الفكر العربي - بيروت - 2019.

وفي المحصلة، لم تعد الحروب الجديدة من عمل الأمم ولا الأفراد الذين يجنّدون للدفاع عن وطنهم. إنها تتبع من التشوّه الاجتماعي، ومن صعوبة التماهي مع المؤسسات التي من المفترض أن تنتسب إليها.

لقد اخترعت الصراعات الجديدة في الواقع شكلاً غير مسبق لمجتمع سوف يُطلق عليه اسم «المجتمع الحربي»، والذي لا يحتشد ضدّ الدولة، وإنما أصبح جزءاً من عملية تجاوزه، على غرار الصراع الأفغاني، وصراع الصومال، والعراق...

## تدخلات الأمس، تدخلات اليوم

في الفصل الخامس (تدخلات الأمس، تدخلات اليوم)، يقارن «برتران بادي» بين التدخلات التي ارتبطت بعملية إنهاء الاستعمار، والتي سمّاها تدخلات «الجيل الأوّل»، وتدخلات «الجيل الثاني» التي ظهرت بعد نهاية الثنائية القطبية.

فتدخلات «الجيل الأوّل» ارتبطت بعملية إنهاء الاستعمار، والتي لجأت إليها القوّة الاستعمارية السابقة لتدعيم سلطة الناقدون الذين تسلّموا مقاليد الحكم عند نيل الاستقلال؛ فيما سعت تدخلات «الجيل الثاني» للاستجابة لأشكال الجديدة من الصراعات الإقليمية والمحلية؛ وللعلاقات الصدامية التي ترسخت بين الشمال والجنوب، بالدرجة الأولى.

ويخلص الباحث إلى إعلان فشل التدخلات، لأن الأشكال الجديدة للصراع «تفلت في جوهرها من لعبة القوّة، وبالتالي من العلاج التقليدي». كما أن التدخل يوجّع دائماً الصراع بدلاً من إخماده.

ويتحدث المؤلف بادي عن ضرورة إبداع ابتكار جديد لنمط حلّ النزاعات يجب أن يجيب عن ثلاثة أسئلة: من؟ كيف؟ لماذا؟

فمن يحق له التدخل في يومنا الحاضر؟ المجتمع الدولي بأسره، أو الدول التي تمتلك الإمكانيات، ما يعيد إدخال عنصر القوّة؟ أما مسألة «الكيف»، فيقصد بها كيفية التمكن من وقف الآثار العنيفة للتفكك الاجتماعي والسياسي والمؤسسي؛ أي بمعنى أن نعرف كيف نتدخل ضدّ القوّة، ولكن ليس ضدّ الضعف.

ويقصد الباحث بمسألة «لماذا» أهمية تحديد الأهداف الحقيقية للعمل العسكري: احتواء العنف واستئصاله، أو تغيير النظام، أو عزل حاكم غير مرضي عنه، أو إعادة توجيه سياسات عامة، أو تعديل العقد الاجتماعي، أو الحد من نفوذ أجنبي منافس، مثل الرغبة في إبعاد الصين عن أفريقيا التي قد تكون تغلغت فيها أكثر مما يجب؟

## إعادة اختراع النظام الدولي

في الفصل السادس والأخير من الكتاب (إعادة اختراع النظام الدولي)، يعدّد الباحث ثماني ركائز لإعادة تثبيت حياة دولية جديدة، وهي:

أولاً: أن «السيادة» تخضع لإعادة نظر وبناء بالكامل. فالمفهوم البسيط وإنما الغامض في البناء الوستفالي، يتخذ الآن صيغة التعدّد.

والركن الثاني هو الركيزة «الإقليمية»؛ وهو مبدأ لم يكن بالإمكان المسّ به كما في السابق. ومع ذلك يُساء التعامل معه في ظلّ التحوّلات التي طاولت الفضاء العالمي. فقد خسرت الحدود من أهميتها؛ وهو موضوع يخضع الآن لمزايدات محمومة، تشيد بفضائل الانغلاق الأكثر إحكاماً، من خلال تشييد الجدران أو التخطيط لها.

وبهذه الروح، تصبح القوّة هي العامل الوحيد الذي يُحسب له حساب في اللعبة الدولية.

وبعبارة أخرى، فإن القوّة تغدّي النظام الدولي؛ وتلتا في تسببها بالحرب بصورة متواصلة، لم يكن هناك من وسيلة سوى محاولة إيجاد ضوابط لها. من هنا، برز مفهوم أساسي عُرف بتوازن القوّة؛ وهو شكّل ضماناً لاستقرار النظام الدولي.

لكن توازن القوّة هذا، الذي تمّت بلورته في إطار تاريخ أوروبي شديد الأوليغارشية، حيث لم تكن الدول القليلة العدد تجد أي صعوبة في إقامة التوازن في ما بينها، فقد معناه وفعاليته في مواجهة التضخم في عدد الدول ذات السيادة.

وفي هذا السياق برز سلاح جديد للدول الضعيفة قبالة الدول القوية والمهيمنة: الإيذاء. ومن وسائله، استخدام الدعاية التي أدت، حتى في صورتها البدائية، دوراً مهماً في الأزمنة الأولى للاستقلال. إن مقولات الأمة، والسيادة، والتنمية، التي تمحورت حولها قضية الضعيف على أنها بالتأكيد أكثر عدلاً وأكثر إلحاحاً من قضية القوي، حُشدت ضدّ قوّة لم تُهزَم بعد بشكل كامل.

وبالنتيجة، فقد حصل انقلاب، ولأوّل مرّة في التاريخ، بات بسببه الأقل قوّة يفرض شيئاً على الأكثر قوّة، حيث أصبح اللاعب الإقليمي في الوقت الحاضر صاحب قدرة أكبر من اللاعب العالمي. كما أن اللاعب المحلي بدأ أقوى من اللاعب الإقليمي.

فالقوى الإقليمية في الشرق الأوسط - إيران والسعودية وتركيا - ولكونها الأقرب، والأكثر انغماساً من الناحيتين الاجتماعية والسياسية، تتمتع بقدرة أكبر على التحرك في الصراع السوري من القوى العالمية، روسيا؛ ومن باب أولى من الولايات المتحدة.

## مجتمعات في حرب ومجتمعات حربية

في الفصل الرابع (مجتمعات في حرب ومجتمعات حربية)، يلفت الباحث إلى أن سياسة الضعف، كما عرفها أنفاً، أحدثت تحوّلًا جذرياً في النظام الدولي، إلى أن غيرت تماماً من طبيعة النزاعات، لدرجة أنه أصبح أكثر عقلانية الآن حين نتحدث عنها، الكلام على «النزاعات الدولية الجديدة» أكثر من الكلام على الحرب.

فالكلام عن «ضعف» يعني تفكك المؤسسات، وانهيار الدولة أو الأمة، وانحلال الروابط الاجتماعية. ونتيجة لذلك، فإن الضعف يعيد تركيز الصراع على الحياة الداخلية للدول.

وفي الواقع، نحن ببساطة نتعامل اليوم مع تاريخ جديد من العنف الدولي، متحرّر من مفاهيم السيادة وحتى من الدولة والأمة. وهذا النسق غير المسبوق ينبثق من أعماق لعبة اجتماعية لا معيارية، مضطربة ومشوّهة.

إن ضعف الدولة والبناء الوطني والروابط الاجتماعية يلقي بثقله على المعايير التي تحكم مجتمعات الجنوب، وتجعلها غريبة عن عدد كبير من الفاعلين فيها، وغير فعّالة، وغير شرعية، ولكن أيضاً مشوّهة، ومنحازة؛ أو من باب أولى معادية، ومستعدة للدفع باتجاه الانحراف لإثارة نزاعات عنيفة محتملة.

ويقدم الباحث جماعة «بوكو حرام» الأصولية في نيجيريا كمثال على تعبئة اجتماعية مضادة عنيفة، عبر خطاب ديني يزداد تشدداً يوماً بعد يوم، حيث تحوّلت الجماعة إلى المطالبة بالانفصال، والمصادرة وإعادة الإدماج.

وقد نشأت بموازاة هذه الجماعة الدينية جماعات إجرامية كثيرة، خرجت في ممارساتها عن أي ضوابط أو قيم تدعي الشخصيات المنتزعة لها التزامها العلني بها.

# إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في موضوع الأوبئة باللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)



الكتاب: أمام الانهيار  
المؤلف: إيف كوشي  
الناشر: Editions les Liens qui Libèrent  
تاريخ النشر: 2019  
عدد الصفحات: 252 صفحة

عندما يصادف القراء أعمال علماء الانهيار، وعلى رأسهم بابلو سيرفين، فإنهم لا يخرجون سالمين تمامًا. يسعى الكثير لمعرفة كيفية العيش أو البقاء على قيد الحياة مع العلم أن المجتمع كما نعلم يقف على حافة الاختفاء. يعتبر إيف كوشي رائداً من رواد الكولابوسولوجي أو علم الانهيار، كما أنه رياضي ووزير سابق للبيئة في فرنسا. يقدم إيف كوشي في كتابه الأخير مفاتيح لفهم الأزمة الحالية وآلياتها. مادام قد بدأ العد التنازلي: فكيف نتعامل مع الانهيار؟ وكان السبب وراء عودة إيف كوشيت للكتابة؟ أنه أراد أن أفهم كيف يمكن لهذا النوع البشري نفسه أن يهمل شيئاً مهماً مثل احتمال انقراض الكائن البشري وبالتالي، لا يعود إلى الأسباب المعروفة للكارثة الحالية. وإنما يبني الاحتمالية على منظور قريب يمتد ما بين (2020-2050) و لهذا يصف الكاتب نفسه بأنه "مؤرخ المستقبل القريب" قبل وأثناء وبعد الانهيار. من خلال وضع جدول زمني قريب جداً بدءاً بـ 2020: التي يعتبرها فترة انهيار الحضارة الصناعية ؛ و 2030: التي يعتبرها السنوات الانتقالية أي فترة محاولة البقاء على قيد الحياة بالمفهوم المادي والمجازي ؛ ثم تأتي فترة 2040: مع (مجتمع ما بعد الانهيار)، يضع إيف كوشي إصبعه على الحقائق التي يخفيها عنا الخبراء والسياسيون: انخفاض محتمل لنصف السكان في العشرين سنة القادمة ؛ الاختفاء السريع للسلع المادية، وهنا يطرح سؤالاً مهماً ("هل ستكون لدينا كهرباء في فرنسا عام 2035؟")، وانهيار الأمن والاستقرار، وما إلى ذلك.

بعد الجزء الأول التقني الممل إلى حد ما حول النماذج الاقتصادية و قضايا الطاقة التي تفسر "كيف وصلنا إلى حافة الانهيار"، فإن الفصول التي أعقبت الانهيار كانت رائعة و أسرة في بعض الأحيان...! يصف فيها إيف كوشي بالفعل مجتمعاً منقسماً إلى مناطق بيولوجية مستقلة وموحدة، متحررة من نير الوقود الأحفوري والعنف.



الكتاب: الأوبئة: مخاطر حقيقية وإنذارات كاذبة  
المؤلف: ديديه راوول  
الناشر: فرنسا.  
تاريخ النشر: 2020  
عدد الصفحات: 97 صفحة

من إنفلونزا الطيور إلى كوفيد 19 مرورا بالجمرة الخبيثة، الشيكونفونيا، الإيبولا، إنفلونزا الطيور، هـ1 ن1، زيكا، فيروس السارس التاجي، فيروس كورونا ... لقد توقع العالم نتيجة جميع هذه الأوبئة، أن الوفيات ستكون بالملايين: لكن لا شيء حدث من ذلك. ماذا سيحدث مع الفيروس التاجي القادم من الصين والذي تسبب في ذعر عالمي؟

يجيب العالم ديديه راوول في كتابه الجديد «الأوبئة: مخاطر حقيقية وإنذارات كاذبة» عن أسباب هذا الذعر ويرجعه بالأساس إلى المبالغة في الصحافة والإعلام، لأنهما يعرفان أن الخوف «يبيع». كما يركب السياسيون على الأوضاع السيئة لفرض خططهم المنهجية التي تكون لها عواقب بعيدة المدى. نحن نتعامل مع الأحداث التي يكافح العلم نفسه لتفسيرها، مثل الانتقال المتسارع للأوبئة في بدايتها، واختلافها الموسمي و ... اختفائها التلقائي دون سبب واضح. في ظل هذه الظروف، فإن التلويح بعدد الحالات الجديدة والوفيات كل يوم يعتبر مثل فزاعة لا تؤدي إلا إلى إثارة ردود فعل غير متناسبة مع المخاطر الحقيقية التي لا يمكن تجاهلها في وقتها.

يدعونا البروفيسور ديديه راوول، عالم الأحياء الحقيقية المشهور عالمياً والذي يرأس أكبر مركز فرنسي مكرس للأمراض المعدية (في مرسيليا)، إلى المحافظة على الجانب العقلاني لمواجهة المخاطر الوبائية القادمة مع الاستفادة من التجارب السابقة دون الوقوع في فخ المؤامرات بين الصراعات السياسية والاقتصادية. وللإشارة فإن كتابات ديديه راوول وأبحاثه سبق أن نشر منها عدد من المؤلفات التي للأسف لم يترجم منها في عالمنا العربي شيء يذكر، مع العلم أنه كتب عن حقيقة اللقاحات كتاباً مهماً وتذكر في هذا السياق كتبه التالية: «توقفوا عن الخوف» وصحتكم الأكاذيب التي تروى لكم وكيف يمكن للعلم أن يفسرها لكم و «الجهل والعمى: لعلم ما بعد الحداثة» و «الثورة الرقمية البشرية: نحو نوع جديد»... كتاب يستحق القراءة في ظل تخطب العالم بين الزيف والحقيقة.





## الكتاب: النجاة من الأزمات البيئية والاقتصادية والمناخية والاجتماعية والصحية... هل أنتم مستعدون؟

المؤلف: إيزابيل بروني

الناشر: منشورا كاتيسا، فرنسا.

تاريخ النشر: 2019

عدد الصفحات: 225 صفحة

يتوجه هذا الكتاب إلى جميع الذين يشعرون بالقلق حيال معضلة انهيار النظام البيئي أو الذين لا يشعرون بالقلق من الأزمات المختلفة القادمة ويريدون أن يكونوا قادرين على مواجهتها بهدوء أكبر من خلال تنفيذ عدد معين من الإجراءات. لا يسعى الكتاب إلى زرع الذعر في نفوس البشر، ولكن أن يسمح لنا بأن نكون على دراية بالمخاطر المختلفة ومساعدتنا على الاستعداد لها. سيمنحنا الكتاب فكرياً حراً للعيش بشكل مختلف. و لكي نصبح مرنين، أثناء مواجهة التدهور الاجتماعي أو البيئي من خلال خيارين: إعداد النفس جيداً لمواجهة المشكلة (على سبيل المثال انهيار الاقتصاد أو كارثة بيئية)، أو اختيار أن تكون متعدد الكفاءات، وبسبب الظروف والأحداث المتوقعة، تكون قادراً على الرد، مهما كان الموقف. اختارت الكاتبة في كتابها الحل الأخير: وهو يمنحك أساليب وتقنيات للتعامل مع الأزمات كيفما كان نوعها لأنك لا تعرف أبداً ما يمكن أن يحدث: بحكم أن المستقبل أصبح غير مؤكد والعالم يتغير بسرعة كبيرة. من خلال تغيير الطريقة التي نعيش بها قليلاً كل يوم وبذلك سنصبح أكثر إدراكاً للعالم من حولنا، ونصير أكثر استجابة وأكثر انتباهاً وأكثر مشاركة وتضامناً. يناقش الكتاب التدابير المختلفة التي يجب القيام بها حتى لا يدهمنا الذعر ونقوم بالقرارات الخاطئة في مواجهة الكوارث، ودراسة المسارات التي يجب اتباعها لاتخاذ الاتجاه الصحيح، والأسئلة التي يجب طرحها قبل اتخاذ أي خطوة. إن تعامل الإنسان مع الأزمات مختلف حسب الشخصية والتكوين والتجربة ومكان الإقامة: الشخص الحضري لن يستعد مثل الشخص القروي، والشخص العادي ليس مثل الشخص المحترف في إدارة الأزمات ولكن مهما كان الوضع فإن الكتاب يطرح المشورة والنصائح القابلة للتكيف مع كل حالة. قد يساعد الكتاب في الاستعداد لمواجهة الأزمات! على الأقل سنعرف ما يجب فعله للتغلب عليها في أفضل الظروف الممكنة للفرد والعائلة! ولكن حان الأوان للاستعداد! لأنه عندما تبدأ الأزمة، سيكون قد فات الأوان!

## آخر الإصدارات في لغة مالايالام (فيلابورتو عبد الكبير):



الكتاب: الأعمال المصرفية في زمن العولمة.

المؤلف: تي. ناريندران.

اللغة: مالايالام.

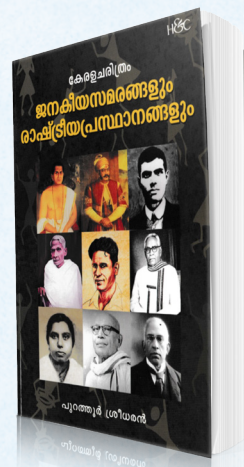
عدد الصفحات: 109.

سنة النشر: 2019.

الناشر: Grass root

Mathrubhoomi, كوزيكود

محتوى الكتاب: مجموعة عشرين مقالة تهاجم سياسات المصارف في القطاع العام وإجراءاتها التي تضر بمصالح عامة الناس. يحول الكاتب من خلال تلك المقالات أن يكشف عما يجري وراء الكواليس في حقول الأعمال المصرفية لصالح الشركات العملاقة الاحتكارية. خبرات الكاتب في مجال البنوك تجعله يتناول الموضوع بأسلوب بسيط يتوافق مع مدارك عامة القراء. تركز المقالات على عدد من الموضوعات ومن الموضوعات التي يعالجها الكتاب العملات المزورة والأموال السوداء ودمج البنوك وغيرها التي تتأثر بها الأعمال البنكية سلبياً.



الكتاب: تاريخ النضال الشعبي

والحركات السياسية في كيرالا.

اللغة: مالايالام

المؤلف بوراتور شريدهاران.

عدد الصفحات: 144.

سنة النشر: 2019

الناشر: H&C Books, تريشور، كيرالا

محتوى الكتاب: يتناول الكتاب تاريخ الحركات السياسية والمقاومات الشعبية المنظمة منها وغير المنظمة ضد الاستعمار البريطاني في كيرالا. يساعد الكتاب في إشباع حب استطلاع طلاب التاريخ لمعرفة خبايا تاريخ كيرالا وثقافتها وتطوراتها السياسية والاجتماعية عبر العصور. ويدعي المؤلف أن جهوده في بحث الحقائق التاريخية المختصة بوطنه الأم بدون انحياز نحو أي أحزاب سياسية وبدون حكم سابق سيكشف الأحداث التي جرت في الماضي كما هي وخاصة في ظروف تبذل فيها بعض الجهات جهودها لتحرّف التاريخ وفقاً لمصالحها الذاتية الضيقة.

## مجلة التفاهم

عنوان العدد: إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني  
الأبعاد القيميّة والكونيّة

### آفاق

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: المبادئ والقيم - عز العرب لحكيم بناني.
- الإرث الروحي العالمي والمشارك الإنساني الجامع - محسن العوني.
- إسهام العلوم الاجتماعية في مدّ جذور عابرة للثقافات وللفلسفات المختلفة - عائشة التايب.
- فلسفة الوحدة في التنوع - أديب صعب.
- بين الشرق والغرب: نحو نموذج فلسفي عالمي..تعدي وإنساني- صلاح سالم.
- إشكاليّة الوحدة والتنوع في الثقافة - منجي الزيدي.

### المحاور

- الرؤية الكونيّة أساساً للتعاون بين الأديان : الرّحمة والتعارف والأخلاق - عبد الله بن محمد السالمي.
- الإيلاف والائتلاف والمؤتلف الإنساني : الأسرار اللغوية والرؤية القرآنية والأبعاد الحضارية - فيصل الحفيان.
- العقل والعدل والأخلاق في «المؤتلف الإنساني» - رضوان السيد.
- المؤتلف الإنساني والسلام العالمي - عبدالرحمن السالمي.
- أخلاق الواجب والمؤتلف الإنساني في الفلسفة المعاصرة - الزواوي بغوره.
- من التداولية إلى المؤتلف الإنساني - فتحي المسكيني.
- قيمة الكرامة و المؤتلف الإنساني - محمد الشيخ.
- يسألونك عن المؤتلف الإنساني! - حاتم الطائي.
- المؤتلف الإنساني واستقامة نظام الأرض - محمد بن سعيد المعمرى.
- مداخل المؤتلف الإنساني: حقوق الضيافة والجوار- يوسف أشلحي.
- نظرية الأخلاق العالمية والمؤتلف الإنساني عند هانز كرنج- مصطفى النشار.
- العدل والأخلاق في المؤتلف الإنساني - ياسر قنوه.
- تجليات المؤتلف الإنساني في الأديان العالمية - عز الدين عناية.

### دراسات

- المؤتلف الإنساني في التصوّرات اليهودية المعاصرة - ماوريسيو أنتينوتشي.
- المسيحية المعاصرة ومسارات الائتلاف الديني - ماريا أديلي رودجيرو.
- المؤتلف الإنساني من منظور الثقافة الصينيّة - حسام المغربي.

### وجهات نظر

- في بعض إشكالات المؤتلف الإنساني الكوني خواطر في رهانات المفهوم وفي مفارقاته - عبدالعزيز لبيب.
- الترجمة جسراً لبناء المؤتلف الإنساني - عبدالسلام بنعبد العالي.
- الزمن الرقمي وسؤال المؤتلف الإنساني - محمد نور الدين أفاية.
- الانبعاث الإنساني في مواجهة الآثار التفتيتية للعولمة - أحمد زايد.



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف: 24644031 - 24644032 +968 , فاكس: +968 24605799

البريد الإلكتروني: www.alfahom.net - al.tafahom@gmail.com - tafahom@gmail.com